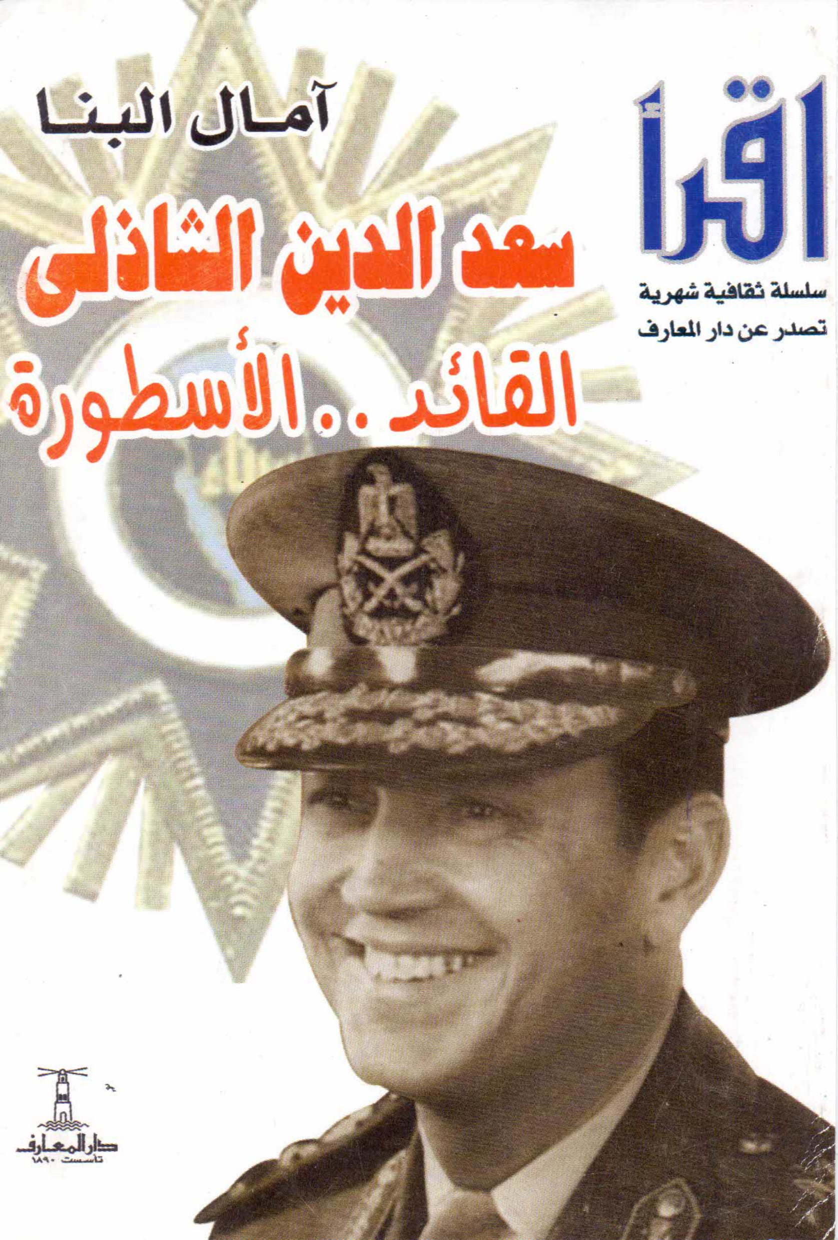
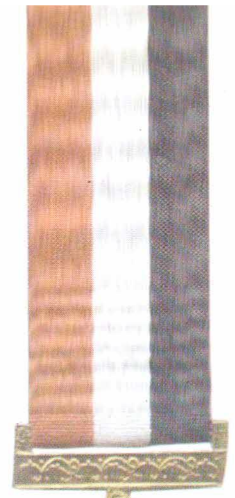


آمال البنا
اقرأ
سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف
سعد الدين الشاذلى
القائد .. الأسطورة
دار المعارف
تأسست ١٨٩٠





هذا الكتاب يحكى مشوار حياة الفريق سعد الشاذلى ـ رئيس أركان حرب الجيش المصرى الأسبق وقائد أول حرب عربية منتصرة فى التاريخ العربى الحديث ـ الذى لقب بالبطل الأسطورة. لأنه كما كان بطلا فى مواجهة الأعداء فى ميدان القتال .. كان أيضا بطلا فى مواجهة الظلم الذى وقع عليه من الأنظمة المتعاقبة فى وطنه مصر ومحضن بطولاته ! ليصبح بذلك أول ضابط مصرى يحمل رتبة الفريق ويزج به فى السجن ظلما وبهتانا ! فزاده الظلم شهرة على شهرته! وفى كل الحالات ـ منتصرا أو مهزوما ـ عاش الفريق " سعد الشاذلى" مشوار حياته الخاصة و العسكرية رجلا فذا .. ورتبت له الأقدار تكريما خاصا فى يوم رحيله؛ فرحل يوم تغيير التاريخ فى مصر وودعه ملايين المصريين بصلاة الغائب فتحول وداعه ـ الذى تزامن مع يوم انتصار ثورة ٢٥ يناير ـ إلى احتفال شعبى كبير! لتؤكد لنا الأيام أن الفريق "سعد الشاذلى" صورة للبطولة الحقيقية فى أزماته وانتصاراته!



http://gate.dar-elmarf.com

٤٠٨٣٨٢/٠١





سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٧٦٦]



تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع النظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ — فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ — E-mail: maaref@idsc.net.eg

آمال البنا

الفريق سعد الدين الشاذلى
القائد الأسطورة



http://gate.dar.elmarf.com

اقرأ

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها، لم يفكروا إلا فى شىء واحد، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها.

طه حسين

دار المعارف

أحلام شهرزاد - العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

إهـــــداء

إلى شعب مصر العظيم أُهدى هذا العمل الوطنى تحيةً إلى واحدٍ من أبطال مصر الأفذاذ.. البطل الفريق سعد الدين الشاذلى.

آمال البنا

تنويه

الوقائـع التـى وردت بالكتاب مأخـوذة من روايات أسـرة الفريق الشـاذلى (كريماته وأحفـاده) ،وروايات لبعض ضباط القوات المسـلحة ممن عاصروا الفريق «سـعد الشاذلى» وعملوا تحت قيادته.كما تم توثيق الأحداث بمادة صحفية أرشـيفية تتناول تغطيـة الأحداث الهامة فى حياة الفريق «الشـاذلى»، بمراجعة اللواء د/ إبراهيم شكيب كما شارك فى المراجعة التحريرية المهندس/ وائل صلاح حسـين أما صور الكتاب فمهداة من أسرة الفريق الشاذلى وبعضها من الأرشيف الصحفى. ولم يرد فى هذا الكتاب ما يُعد من الأسرار العسكرية المحظور نشرها.

آمال البنا

سيرة الفريق سعد الدين الشاذلى

• ولد الفريق سـعد محمد الحسـينى الشـاذلى فى إبريل ١٩٢٢م الموافق ٦ربيع الأول ١٣٣٢ هجرية فى قرية شبراتنا - بسيون - بمحافظة الغربية.

• اسم الشهرة / سعد الدين الشاذلى.

• تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤١م .

• خـدم فى الحرس الملكى برتبـة ملازم أول فى الفترة من ١٩٤٣م حتى ١٩٤٩م، شارك أثناءها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ م ضمن سرية من الحرس الملكى بأمر من الملك فاروق فى ذاك الوقت.

• شارك مع الضباط الأحرار فى التحضير لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

• مؤسـس وقائد أول فرقة قوات مظلات فى مصر من ١٩٥٤م حتى ١٩٥٩م وشارك خلالها فى حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م.

• قائـد أول قـوات عربية موحدة فى الكونجـو، ضمن قوات الأمم المتحدة خلال عام ١٩٦١م.

• عمل ملحقا حربيا لمصر فى لندن من ١٩٦١م حتى ١٩٦٣م .

• قائد لواء مشاة فى حرب اليمن من ١٩٦٥م حتى منتصف١٩٦٧م.

• قائد قوات المظلات والصاعقة من ١٩٦٧م حتى ١٩٦٩م.

• قائد منطقة البحرالأحمرالعسكرية من١٩٧٠م إلى منتصف ١٩٧١م.

• تولى رئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية من١٩٧١م حتى ١٩٧٣م فى عهد الرئيس أنور السـادات وكان الشـاذلى هو العقل

المدبـر لخطـة العبور فى حــرب أكتوبــر ١٩٧٣م فأطلقـوا عليه «بطل أكتوبر».

• اختلــف أثنــاء حرب أكتوبــر ١٩٧٣م مع الســادات حول خطة مواجهة ثغرة الدفرســوار فأبعده عن مصر وعينه سفيرا لمصر بالدرجة الممتازة فى لندن خلال عامى ١٩٧٤م و ١٩٧٥م.

• عمل ســفيرا لمصر فى البرتغال لمدة ثلاث ســنوات فى الفترة من ١٩٧٥م حتى ١٩٧٨م سطر خلالها أشهر كتبه «مذكرات حرب أكتوبر» وأصدرت الســلطات المصرية ضده حكما غيابيا بالســجن ثلاث سنوات ظلما بتهمة إفشاء أسرار عسكرية فى كتابه.

• أحيل للمحاكمة بتهمتى نشر كتاب مذكرات أكتوبر بدون موافقة مســبقة، وإفشاء أســرار عســكرية فى الكتاب، وأنكر الشاذلى التهمة الثانية لأنها كانت أســرار حكومية وليســت عســكرية ومع ذلك حُكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

• عاش فى الجزائر قرابة أربعة عشر عاما منذ ١٩٧٨ حتى ١٩٩٢م وكان للفريق الشــاذلى هناك أنشطة ثقافية ما بين إلقاء محاضرات وعقد مؤتمرات كما أنشــأ جريدة الجبهة فــى الجزائر، واقتنى هناك مكتبة تتجاوز نحو ٥٠٠ كتاب تضمنت عناوين فى كافة المناحى.

• عــاد إلى مصر فى مارس ١٩٩٢م فى عهد الرئيس حســنى مبارك لينفذ عليه الحكم بالســجن ثلاث سنوات بدون إعادة للمحاكمة بسبب إصــداره مذكراته عــن حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وقد أثــارت قضيته كافة

منظمات حقوق الإنسان والعفو الدولية وتدخلوا للدفاع عنه، وتم تخفيف العقوبة بعد تطبيقها إلى عام ونصف العام، ليصبح الشاذلى أول ضابط فى تاريخ الجيش المصرى يحمل رتبة فريق وتطبق عليه عقوبة السجن.

• من أشهر مؤلفاته «مذكرات حرب أكتوبر»، «٤ سنوات فى السلك الدبلوماسى»، «الخيار العسكرى الاستراتيجى»، «الحرب الصليبية الثامنة».

• رحل عن دنيانا عن عمر يناهز ٨٩ عاما وودعته مصر فى يوم تاريخى إبان ثورة ٢٥ يناير فى ١١ فبراير ٢٠١١م متزامنا فى نفس يوم تخلى الرئيس مبارك عن منصب رئيس الجمهورية وتنحيه عن الحكم.

• منحته مصر وسام «نجمة الشرف العسكرية» بعد رحيله فى ٢٠١١م تقديرا لأدواره البطولية فى خدمة وطنه مصر.

• وافق المسئولون - فى نفس العام ٢٠١١م - بعد رحيله على نشر كتابه «مذكرات حرب أكتوبر فى مصر» ،الذى كان ممنوعا من التداول فى مصر من قبل.

• فى ٤ أكتوبر٢٠١٢م أصدر الرئيس محمد مرسى بمناسبة احتفالات أكتوبر قرارا بمنح الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان الأسبق قلادة النيل تقديرا لدوره التاريخى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م. (وكان ذلك آخر تكريم من مصر لابنها البطل سعد الشاذلى حتى صدور هذا الكتاب).

• أهدت السـيدة (شـهدان الشـاذلى) مذكرات والدها الفريق سعد الشـاذلى عن حرب أكتوبر إلى مكتبة الإسـكندرية بمناسبة احتفالات أكتوبر ٢٠١٢م.

• أطلقت القوات المسـلحة اسم الفريق الشاذلى على المحور الدائرى الذى يربط مدينة العبور بمدينة الحرفيين بالقاهرة.

الفريق «سعد الشـاذلى» هو القائد الحقيقى الذى خطط ونفذ العبور العظيم وأدار المعارك فى حرب السادس من أكتوبر١٩٧٣م، إنه أسطورة حاول الحاقدون عليه تشويهها ، غير أنهم فشلوا واختفوا وظل الفريق «سعد الشاذلى» حاضرا بقامته الفذة وبطولاته الإنسانية والتاريخية.

الكاتب الكبير الأديب / جمال الغيطانى

قالوا عنه

• كان رجـــلا نموذجيا فى كل شـــىء، وصاحب عقليـــة متفردة فى الدقـــة والانضباط والتفكير المنظم، وكانت له قـــدرة بارعة على الإقناع تفوق التصور.

المؤرخ العسكرى اللواء د. إبراهيم شكيب

• كانـــت لـــه قدرة خاصة فى تحويل أى فكـــرة إلى واقع، وتحويل الحلم إلى حقيقة فى زمن قياســـى وبأقل تكلفة، لكنه كان عنيدا وشديد التمسك برأيه فى كثير من المواقف لثقته الكبيرة بنفسه.

اللواء أشرف راشد

• تميـــز بالإبداع القيادى فى إدارة الأزمـــات والطوارئ خاصة بعد نكســـة ١٩٦٧م وأثنـــاء حرب الاســـتنزاف، وصعوده فـــى الترقى كان لكفاءته النادرة وتميزه.

اللواء جمال مظلوم

• تعـــرض الفريـــق «الشـــاذلى» لظلم عظيـــم من الأنظمة (الســـادات ومبـــارك) وتم إقصـــاؤه من مصر أرض بطولاته فزاده الظلم شـــهرة على شهرته وخلده التاريخ.

لواء/محمد التميمى

• إن الإعداد الدقيق غير المســـبوق لحرب أكتوبر ١٩٧٣م يحســـب للفريق الشاذلى، ولن يغفل التاريخ دوره العظيم فى نصر أكتوبر المجيد.

الفريق يوسف عفيفى

قبل الرحلة

أروع الأحداث هى تلك التى تصنعها لنا الأقدار، ففى حبكة درامية خارقة تحدت كل الإبداعات الخياليــة أخرجت الأقداراللقطة الأخــيرة فى حياة البطل الفريق «ســعد الشــاذلى» متزامنة مع الإعلان عن رحيل الرئيــس مبارك عن الحكم وتخليه عن رئاســة الجمهورية فــى نفس يوم ١١فبراير ٢٠١١ م، وأثناء انــدلاع ثورة ٢٥ يناير عندما قــدَرالله تعالى مصيرالظالم والمظلــوم فى يوم واحد! وكان يــوم الجمعة يوما تاريخيا لكل المصريين يوم احتفالهم بنجاح ثورة ٢٥ يناير فى إســقاط رأس النظام (مبارك) والتى أطلق عليها الثوار جمعة الرحيل، فتحول وداع البطل الفريق «سعد الشــاذلى» إلى احتفال شعبى كبير يليق بمكانته التاريخية فى مصر والعالم العربى، شــارك فيه ملايين المصريين بصلاة الغائب «للشاذلى» الذى عاش حياته محاربا من أجلهم.... يا سبحان الله.

وأثار دهشــتى فى هذا المشهد المهيب أن الملايين التى هتفت مطالبة بســقوط مبارك، هى نفســها التى رفعت أكف الضراعة فى نفس اليوم تطلب من الله تعالى فى صلاة الغائب الرحمة «للشــاذلى» وهو فى طريقه إلى مثواه الأخير فــى الدنيا! فأعادت هذه اللقطة «المعجزة» إلى ذاكرتى لقطــة أخرى لاتقل عنها روعة لازالت منقوشــة فــى ذاكرتنا الوطنية

بحروف النصر وهى لحظة التفاف الجنود والضباط حول قائدهم الفريق «سعد الشاذلى» على خط النار يعانقونه بفرحتهم العارمة بالنصر يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣م ويهتفون «للشاذلى» بنجاح خطته.

حرصت على تسجيل مشوار حياة الفريق «سعد الشاذلى» الخاصة والعسكرية ليس باعتباره واحد من أبرز القادة العسكريين فى التاريخ المصرى الحديث وحسب، ولكن لأنه كان بمواصفاته العسكرية والإنسانية حالة خاصة من البشر! وقائدا عسكريا من الطراز الأول، شهد بكفائته القادة العسكريون على اتساع العالم، بعدما سطر بشجاعته فى ميادين القتال صفحات فخار من تاريخ مصر، كما تميز بصلابته فى مواجهة تحديات الحياة فما كان يعبأ بالأزمات ولا تهزمه التحديات؛ إذ كان يتمتع بقدرة خارقة فى تحويل الهزائم والأزمات إلى انتصارات حتى بلغت نشاطاته الثقافية والاجتماعية ذروتها فى سنوات الغربة والظلم الذى زاده شهرة على شهرته، وتحولت وقتها قضية ظلم «الشاذلى» إلى قضية قومية صال فيها وجال الرأى العام، بعدما أصبح بدخوله السجن فى وطنه منتصرا، أول ضابط فى تاريخ الجيش المصرى برتبة فريق يدخل السجن ظلما وبدون محاكمة وكانت جريمته وطنيته وحبه لبلاده.

ومن المواقف العظيمة التى سيحسبها التاريخ للبطل الفريق «الشاذلى» أنه فى الوقت الذى حكمت عليه السلطات فى مصر بالسجن وحرمانه

مــن حقوقه المدنيــة والقانونية وهــو بعيد عن وطنه، تســابقت بعض الأنظمة العربية لاستقطابه للاستعانة بعبقريته العسكرية والإنسانية لصــالح بلادهم لكنــه رفضها جميعها لأنه كان يعتــز بمصريته ويدين بولائه لوطنه مصر.

دفعنــى كل ذلك أن أكتب للتاريخ قصة حياة هذا البطل العظيم قائد أول حــرب عربية منتصرة فى التاريخ العربــى الحديث، البطل الذى ظلمتــه الأنظمــة وأنصفه التاريــخ، وعاش رمزا وطنيــا جليلا لأجيال مضت وأجيال أخرى ســتأتى، وما أكثر ما كتب من مؤلفات عن الفريق الشــاذلى بعد رحيله لذا حاولت فى هذا الكتاب أن أختار زاوية أخرى جديدة هى حياته الخاصة مع أســرته ، وأســطر لقطات من حياته فى منفاه المختار بالجزائر، كما حاولت أن أتجاوز أسوار محبسه فى فترة ســجنه لأعرف كيــف كان بطلا فى غربته ومحبســه كما كان بطلا فى ميدان القتال، لأكشــف عن عبقريته الإنسانية لتكتمل بذلك جماليات الحقيقــة، ولأجعــل من أوراق هذا الكتاب تحيــة إلى ذكراه وباقة على قــبره اعتذارًا عما لاقاه مــن بطش وظلم فى وطنه وموطــن انتصاراته، فالكتابة عن أبطال مصر شــرف وطنى أفتخر به. وســيظل اسم الفريق «ســعد الشــاذلى» قيمة وقامة عالية وعلامة مضيئة فى ســجل التاريخ العسكرى العربى ودُرة فى جبين مصر.

آمال البنا

طفولة الشاذلى بين شبراتنا والقاهرة

قبل أن يلملم الليل عباءته المظلمة ليفسح لخيوط النهار الجديد أن تضيء قريته «شبراتنا»، كان «سعد الشاذلى» تلميذ الابتدائى ينتظر زملاء دراسته على قارعة الطريق، فإذا ما اكتمل عددهم تولى قيادتهم إلى حيث مدرستهم الابتدائية فى «بسيون» التابعة لمحافظة الغربية والتى كانت تبعد عن بلدتهم بما يزيد على ٧ كيلومترات كان عليهم أن يقطعوها سيرا على الأقدام ذهابا وإيابا!

وجاء اختيار الصغار لزميلهم «الشاذلى» للقيام بهذه المهمة لمهارته فى التقدير الدقيق للمسافات وتحديد الزمن اللازم لقطعها بدقة خلال رحلة عنائهم اليومى فى طرق متربة غير ممهدة كانوا يدلفون فيها من طرق ضيقة وقصيرة إلى طرق أطول منها يتبعون «الشاذلى» حتى يصلوا إلى الحقول، وهناك كانوا يسلكون وراءه طريقا مختصرا على أحد جانبيه الحقول وعلى الجانب الآخر قناة ضيقة، يتبعونه فى حذرشديد خوفا من أن تنزلق قدم أحدهم فيسقط فى المياه، وهم يحملون أحلام مستقبلهم البعيد كتبا ثقيلة فى حقائبهم حتى يصلوا إلى بداية الطريق الرئيس المؤدى إلى «بسيون» حيث مدرستهم ليلحقوا بطابور الصباح فى موعده المبكر مع بداية كل يوم دراسى.

ولم يدر «الشــاذلى» - الصغير فى هذه الســن المبكرة (٨سنوات) - أن قيادته لرفاقه إلى المدرســة تكشــف عن قدراتــه الفطرية على قيادة المجموعات بمهارة، وشــغفه بمواجهة المخاطــر وحبه للمغامرة، وأن مــا يواجهه من عنــاء فى رحلته اليومية من وإلى المدرســة سيكســبه خبراتــه الأولى فى مواجهة صعوبات الحيــاة والتدرب على تحديها، حتى تعلم «ســعد الشــاذلى» فى هذه المرحلة المبكرة من عمره أن طريق النجاح محفوف فى أغلب الأحيان بالمخاطر ولا يصلح معه الانســحاب أو التراجع، لأن النجاح فى نهاية كل عام كان جائزة عظيمة تســتحق العناء الذى يواجهونه كل يوم.

جاء ميلاد «ســعد الشــاذلى» فى إبريل ١٩٢٢م، وكانت مصر وقتها تمــوج بأحداث سياســية كثــيرة تحت احتــلال بريطانــى جاثم على المصريــين. وأتاحت الظروف العائلية فى بيت أســرته فرصته للتعرف إلى الأحوال السياســية فى البلاد، فاللقاءات الاجتماعية المتكررة التى كانت تنعقد فى بيت والده « محمد الحســينى الشــاذلى» وكان من كبار الأعيــان فى بلدته «شــبراتنا» كانت تضم بعض أقاربــه وأصدقاء والده وأعيــان بلدته فى لقاءات ودية أســبوعيه منتظمة فيما يشــبه المنتدى الاجتماعــى، تدور فيــه الأحاديث حول الأوضاع السياســية والحراك الثورى الذى كان يدور فى البلاد آنذاك.

وكان «الشــاذلى» الصغير شــغوفا بمجالس الكبار مســتمعا بينهم، يلتقــط مــن حواراتهم ثقافته السياســية الأولى التى كانت تنبه حســه

الوطنى خاصة بعد معرفتــه الجذور الوطنية لعائلته، فجده لأبيه كان قد استشهد محاربا مع قوات إسماعيل باشا فى السودان، وبعض أقاربه كانوا مع ثوار ثورة عرابى ضد الخديو والإنجليز، فكان لهذا الكشـف لجذوره العائلية أثر فى تشكيل وجدانه الوطنى، لينتقل بمرور الوقت بفكــره الجديد إلى عالم الكبــار وأحلامهم الوطنية لمصــر، فما انقضت ســنوات طفولته الأولى بانتهاء دراســته الابتدائية بنجاح إلا وكان قد تعلم من لقــاءات الكبار حب مصر ومعنى التضحيــة من أجلها، ليبدأ مرحلــة جديدة من حياتــه ينتقل فيها إلى التعليم الإعــدادى بالقاهرة بعيــدا عن بلدتــه وأهله، ليصنع نجاحه بنفســه فــى أول تجربة مع الغربة.

سنة أولى وطنية

فــى القاهرة هيأ له والده حياة طيبة، تســهل عليه غربة صبى ابن الثانية عشرة، وتساعده على النجاح خلال سنوات متتالية فى انتظاره كان عليــه أن يقضيهــا فى التعليم الإعــدادى والثانــوى (التوجيهى) بالقاهرة. وســاعده مــا كان يتميز به من الانضبــاط والالتزام الجاد فى دراســته على تحمل مسئوليته الدراسية والشخصية بنجاح عاما وراء أعوام حتــى أنهى تعليمــه الإعدادى وانتقــل إلى التعليــم التوجيهى (الثانوى).

وعلــى عكس اهتمامات الفتيان فى هذه المرحلة المبكرة من أعمارهم ،كان «الشاذلى» شغوفا بالقراءة ينفق مصروفه الشخصى فى شراء الكتب السياســية ليعكف علــى قرائتها، وينهل من مؤلفــات الكاتب (محمد حســين هيكل) ومقالاته السياســية فــى مجلة مصر الفتــاة ،ومقالات الكاتب إحســان عبد القدوس فى مجلة روزاليوسف التى كانت توصف وقتها بالمقالات النارية لما كان لها من تأثير فى إشعال وجدان المصريين وتبصيرهــم بما يدور فى وطنهم من أحداث، وغيرها من القراءات التى أضافت إلى شخصية «الشــاذلى» نضجا مبكرا، وأشعلت وجدانه الوطنى تجاه الأحوال السياسية التى كانت عليها مصر آنذاك عام ١٩٣٦م.

وفى إحدى الإجازات التى كان يترقبها الطلاب المغتربون عن بيوت أســرهم، عاد «الشاذلى» من القاهرة ليقضى إجازته الأسبوعية بين أهله وأسرته فى بلدته «شبراتنا» ليجد مفاجأة فى انتظاره.



مصر فى قلوب المصريين

لم ينس «سـعد الشاذلى» طالب الثانوى تلك الإجازة التى عاد فيها إلى «شـبراتنا» سـعيدا يحمل إلى أسـرته نتاج قراءاته وثقافته السياسـية الجديدة التى ستفسـح له مكانا فى مجالس الكبار، وبينما كان عقله يسترسـل فى توقعاته وهو يسـرع الخطى نحو بيت أبيه إذا بالبيت وقد أضيئت أنواره واكتظ بالناس فى مظهر ينبئ بانعقاد المنتدى الاجتماعى الأسبوعى فأسرع الخطى ليفسح لنفسه مكانا بين الحاضرين.

ولما وصل إلى البيت وجد «عبد السـلام باشـا الشـاذلى» ابن عم والده الذى كان يشغل منصب مدير مديرية البحيرة (محافظ البحيرة) يتوسط الحاضرين! وكان رجلا مهيبا اشتهر بين أهله وعزوته بمواقفه الوطنية المشـرفة، وكان بحكم عمله يحمل فى كثير من الأحيان أخبارا سياسية تهـم الجميع، مما أضفى أهمية لوجوده فى منتدى بيت «الشـاذلى» فى ذاك اليوم. كان «عبدالسـلام باشا» يروى فى زهو عن جرأته فى تحدى السـلطات الحاكمة ورفضه الاسـتجابة لتنفيذ ما يتعارض مع مصلحة وطنه مصر، والكل يستمع إلى روايته فى انتباه شديد ويشعرون بالفخر لشـجاعته ووطنيته، وهم يتطلعون إليه بطلا من عائلة الشـاذلى يدافع عن أهل وطنه فى جرأة وتحد ، وكانت مثل هذه المواقف تصيب «سـعد الشاذلى» فى هذه المرحلة المبكرة من عمره بالإبهار وتنبت فى عقله حلم

البطولة. ولكن للأسف لم تدم فرحة آل الشاذلى لساعات حتى أتت رياح الأحداث بما لا يشتهيه أهل «شبراتنا» خاصة عائلة الشاذلى ،عندما دفع «عبد السلام باشا الشاذلى» ثمن جرأته فى الدفاع عن الحق وتحديه للسلطات الحاكمة التى أحالته فى اليوم التالى إلى المحاكمة التأديبية.

وكانت الصدمة كبيرة على أهل «شبراتنا» بصفة عامة، وعلى عائلة «الشاذلى» بصفة خاصة، إذ كانوا يخشون مما تحمله الأيام القادمة من توقعات لعقوبات تؤثر على منصب «عبد السلام باشا» فى عمله، الذى كان يُعد فى عيون الجميع بطلا من قريتهم صنع بشجاعته مثلا أعلى لشباب «شبراتنا» وعزوة وطنية عاشوا فى ظلها.

وانتهت إجازة «سعد الشاذلى» دون أن يعرف بنتيجة المحاكمة التأديبية لعمه ليعود إلى دراسته فى القاهرة قلقا حول المصير المجهول الذى ينتظر «عبدالسلام باشا» ، كل ذلك كان يدفع بالطالب «سعد الشاذلى» أن يعبرعن إحساسه وغضبته الوطنيه بمشاركته فى مظاهرات الطلبة ضد الاحتلال والسلطات الموالية له حتى أصبحت السياسة هوايته،وهو يستعجل الأيام أن تمر لتأتيه بالإجازة التى سيعود فيها إلى مجالس الكبار فى بيت والده ليحكى لهم عن دوره الجديد فى مظاهرات القاهرة.

ودارت أيام الدراسة دورتها لتأتيه بأيام الإجازة التى كان يترقبها، وما إن وصل «سعد الشاذلى» إلى بيت والده حتى وجد نفس المشهد ونفس الزحام الذى شاهده من قبل، جمع من الحاضرين يتوسطهم عمه «عبد السلام باشا»،هذه المرة كانوا يتفحصون أوراقا هامة ويتبادلونها بفرحة

فيما بينهم، وعمه يروى لهم مزهوا - كعادته مفاجآت محاكمته التأديبية.

كانت المفاجأة أنه بعد استعراض «عبد السلام باشا» أمام مجلس التأديب للحجج والبراهين التى تؤيد وجهة نظره فى انحيازه لصالح بلاده، إذا بالمجلس التأديبى يبدى إعجابه الشديد بآرائه، ويشيد بوطنيته حتى أعلن المجلس التأديبى اقتناعه الكامل بوجهة نظر «عبدالسلام باشا»! ولم يكتف المجلس بتبرئته بل ترجم إعجابه بوطنيته فى حيثيات الحكم الصادر لصالحه فى أوراق رسمية وزعها « عبد السلام باشا» على الحاضرين ليقرأوها فى سابقة هى الأولى من نوعها وشعور بالفخر يلف الجميع.

الشاذلى يعيد إلى عائلته شهرتها العسكرية

كان لهذه الواقعة أثر عظيم فى نفس «سعد الشاذلى» ولم تفلح السنوات التالية التى قضاها فى دراسته الثانوية أن تمحو تأثير هذه الواقعة من ذاكرته، وتمنى وقتها لو يُسعده المستقبل بمنصب كبير يقابل موقع عمه «عبد النسلام باشا» لينال شرف البطولة فى نصرة وطنه وينال من ورائها شعبية خاصة بين أهل بلدته وعشيرته فى «شبراتنا».

ونجح بالفعل الطالب «سعد الشاذلى» أن يحقق أول خطوة لطموحاته بنجاحه فى الحصول على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة) ليفسح بنجاحه مكانا مميزا فى قلب والده الذى تحمس لالتحاقه بالكلية

الحربيـــة مصنع الرجــال وطموح الأبطـــال، يدفعه الأمل فـــى أن يصبح ابنه « ســعد» يوما ما واحدا من هؤلاء الأبطال العسكريين الذين يغيرون ببطولاتهم تاريخ الشعوب والبلاد، وترجم والده فرحته بإسراعه بتسديد مصروفــات الالتحــاق بالكلية الحربيــة والتى كانــت مرتفعة فى ذاك الوقت، مكافأة لابنه «سعد» الذى أعاد لعائلته صلتهم بالحياة العسكرية من جديد، والتى كانت قد انقطعت بانكســار ثورة عرابى وســقوط مصر تحت الاحتلال البريطانى. وأصبح «الشاذلى» أصغر طلاب الكلية الحربية فى ١٩٤٠م وعمره ١٧ عاما. ليقضى عاما ونصف العام فى دراسته بالكلية الحربية حتى تخرج منها فى عام ١٩٤١م برتبة ملازم.

ونجح الملازم «ســعد الشــاذلى» أن يحظى بشــهرته العسكرية بعد تخرجه عندما واتته الفرصة التى شارك فيها مقاتلا فى الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١م مع القوات المصرية والبريطانية فى مواجهة القوات الألمانيــة فى الصحراء الغربية بمصر، وعندمــا صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية فى هذه المواجهة بالانســحاب شارك «الشاذلى» مع الضبــاط والجنود فـــى تدمير المعدات المتبقية فى وجــه القوات الألمانية المتقدمــة آنــذاك، وكان لهذا الحـــدث صدى كبير فـــى الجيش المصرى جعلت «الشاذلى» يضع أقدامه على أول طريق شهرته العسكرية مع أول حرب شــارك فيها بعد التخرج، فى أول تواجــد له فى ميدان القتال.

فماذا كان ينتظر الملازم«سعد الشاذلى» فى مشواره العسكرى القادم؟

«الشاذلى» ضابطا بالحرس الملكى

تعتبر مرحلة الأربعينيات من المراحل الهامة فى الحياة العسكرية والخاصة للملازم أول «سعد الشاذلى»، ففى عام ١٩٤٣م التحق بالحرس الملكى - مشاة - منتدبا من القوات المسلحة مع النخبة المتميزة من الضباط المكلفين بحماية (الملك فاروق) وحماية القصور الملكية والحفاظ على أمنها فى الفترة من ١٩٤٣م : ١٩٤٩م حدث خلالها الكثير من الأحداث السياسية تزامنت مع تطورات أخرى فى الحياة الخاصة للملازم أول «سعد الشاذلى».

فعلى الجانب الشخصى وتحديدا فى منتصف الأربعينيات بدأ «الشاذلى» حياته الزوجية مع زوجته (زينات السحيمى) التى تنحدر من عائلة عسكرية، فوالدها هو متولى باشا السحيمى الذى كان مديرا للكلية الحربية آنذاك، وأشقاؤها الضباط محسن متولى فى سلاح الحدود، و فايز متولى بسلاح الإشارة، وسعد متولى الذى أصبح كبير الياوران فيما بعد.

بدأ الملازم أول « سعد الشاذلى» حياته الزوجية بمسكنه بحى العباسية، مجاورا زميله الضابط جمال عبد الناصر فى نفس العمارة التى ضمت أسرتيهما معا، وأنجب «الشاذلى» خلال السنوات الأولى

من زواجه طفلته الأولى (شــهدان) وبعد ثلاث ســنوات جاءت (سامية) وفرح «الشاذلى» بزيادة عدد أسرته بزهرتى عمره (شهدان وسامية).أما زوجته (زينات) فكانت تتمنى لو أسعدتها الأيام بإنجاب الولد، وكانت تخشــى ألا تحقق لها الأيام أمنيتها، ودفعها الأمل فى تحقيق أمنيتها إلى تكرار محاولة الإنجاب للمرة الثالثة، واختارت للمولود المرتقب اسم (طارق) وأعدت ملابسه وترقبت وصوله حتى جاءت اللحظة المرتقبة.

وبينما كان «الشــاذلى» يستقبل المهنئين بميلاد مولوده الثالث كانت زوجتــه «زينات» تبكــى حظها العثر الذى لم يأتهــا بمولودها طارق، وجاءت بدلا منه مولودتها (ناهد) ليرتفع بمجيئها عدد بنات «الشاذلى» إلى الرقم ٣ (شــهدان وسامية وناهد)، وتجاوز «الشاذلى» الأب بفرحته وفكره الواســع كل العــادات القديمة فى تمييز الصبيــان عن البنات، وحاول أن يســاعد زوجته فى التغلب على حزنها، فوعدها أن يُنشــئ بناته تنشــئة خشــنة ويقوم على إعدادهن إعداد الرجال، حتى تحظى زوجته فى المستقبل بثلاث نساء يحملن صفات الرجال التى تمنتها فى الولد الذى لم تســعدها الأيام بإنجابه،فحرص «الشــاذلى» على تدريب بناته على الاعتماد الكامل على أنفســهن فى مواجهة صعوبات الحياة ليسلكن مسلك الرجال عندما يشتد عودهن للحياة.

وفى منزلهم بالعباســية عاشــت أسرة «الشاذلى» ســنواتها الأولى، وربطت بينها وبين أسرة جارهم الضابط (جمال عبد الناصر) الذى كان

يقطن الطابق الأعلى علاقات طيبة بعدما تقاربت أعمار الصغار (أبناء الشاذلى وأبناء عبد الناصر) وتزاملوا فى دراساتهم فى مراحل تعليمهم المختلفة وزادت روابط الجيرة من توطيد العلاقات بين الأسرتين.

(رواية شهدان الشاذلى)

الشاذلى يكشف أسرار حرب فلسطين

فى القصر الملكى، حيث عمل الملازم أول «سعد الشاذلى» وتحديدا فى نوفمبر١٩٤٧م، كانت أجواء القصر يشوبها بعض القلق والتوتر بعد إعلان الأمم المتحدة عن تقسيم فلسطين، وكان لهذا الإعلان وقع المفاجأة الصادمة لكل الدول العربية ومصر، فبادر الملك فاروق بالدعوة لعقد مؤتمر عربى يضم ملوك ورؤساء الدول العربية فى منطقة (أنشاص) بمصر، واتفقوا فى المؤتمر على إرسال كتائب عربية موحدة من جيوش الدول المشاركة (العراق، الأردن، سوريا، السودان، لبنان، مصر، اليمن، وباقى الدول العربية) لإرسالها لقتال اليهود فى فلسطين تعبيرا عن رفضهم لقرار التقسيم اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٤٨م، ووقتها وحدت حرب فلسطين بين العرب فى أروع صور الوحدة وراء هدف واحد هو القضاء على اليهود فى فلسطين، وتصورت القيادات العربية واهمة فى ذاك الوقت بحساباتها النظرية ،أن النصر للعرب لا محالة، إذ كانوا يعتقدون وقتها بأن اليهود فى فلسطين مجرد عصابات يمكن للجيوش العربية إبادتها عند أول مواجهة وبأدنى خسائر.

وفورعلم الملازم أول «سعد الشـاذلى» بقرار مشاركة مصر فى حرب فلسطين، أسرع بمقابلة عاجلة مع (القائمقام) العقيد حلمى عبد الرحمن رئيس الحرس الملكى، ولكن لم تمض من المقابلة إلا لحظات حتى ارتفع صـوت العقيد حلمى عبـد الرحمن ينهـر «الشـاذلى» ويعنفه، فخرج «الشاذلى» من مكتبه وأمارات الغضب تعلو وجهه فما الذى حدث أغضب الاثنين الشاذلى والعقيد حلمى؟

كان العقيد حلمى عبد الرحمن قد فوجئ بأن «الشاذلى» بدافع الحمية العربية طلـب إعفاءه من الخدمة فى الحرس الملكى ليذهب متطوعا مع القوات المصرية للحرب فى فلسطين، فرفض العقيد حلمى مطلبه وعنفه خوفا عليه، إذ كيف لضابـط فى مكانه المميز بالحرس الملكى أن يطلب الاستقالة من موقعه ليواجه أهوال الحرب والموت المحقق وسط نيرانها فى فلسطين والتى لا يعلم عواقبها إلا الله تعالى.

فأصاب «الشـاذلى» الإحباط ،بعد رفض مطلبه الذى أضاع منه فرصة بطولتة المرتقبة التى كان يتمنى أن يحققها فى فلسـطين، لكنه فوجئ بعد هذه المقابلة بسـاعتين بأن رئيس الحـرس الملكى يعلن عن موافقة (الملك فاروق) بانضمام سـرية من الحرس الملكـى إلى الجيوش المصرية المحاربة فى فلسطين فكانت مفاجأة رائعة «للشاذلى» لم يصدق لحظتها أن أمنيتـه التى فقد الأمل فى تحقيقها منذ سـاعات قد عادت لتتحقق بأسرع مما توقع! وصدرت الأوامر بتجهيز سرية ملكية متطوعة خلال ثلاثة أيام فقط، وقام الشـعب المصرى بتوديعها فى موكب اسـتعراضى

رائع، جابت فيه السرية الملكية شوارع القاهرة من ميدان عابدين حتى محطة القطار الذى سيقلهم إلى فلسطين.

أسرار هزيمة الجيوش العربية فى حرب فلسطين

وفى ميدان القتال هناك فى فلسطين، وأثناء معركة دير ياسين ومعركة نيتا ليم، فوجئ «الشاذلى» والجيوش العربية المشاركة بعدم التكافؤ بين القوات العربية وقوات اليهود، وعكس توقعاتهم اكتشفوا أن جيش اليهود أقوى من الجيوش العربية مجتمعة والتفاوت بينهما هائل فى العُدة والعدد، وكانت المفاجأة أشد على «الشاذلى» عندما اكتشف فى ساحة القتال أن ما تعلمه فى الكلية الحربية كان تعليما نظريا على الورق، لم يتدرب فيه على القتال بما يكفى مواجهته لليهود فى هذه المعركة، حتى الأسلحة العربية كانت بدائية مقارنة بأسلحة اليهود، ذلك بالرغم من تميز العرب بسلاح الطيران وافتقاد الجيش اليهودى له، إلا أن التفوق فى هذه الحرب كان لليهود.

وعاد الشاذلى من فلسطين حزينا، يستعيد فى ذهنه تفاصيل المعركة وانشغل عقله بمزيد من التحليل لأسباب الهزيمة التى أرجعها إلى الخبرة القتالية التى اكتسبها جيش اليهود من اشتراكهم مع جيوش الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية بهدف التدريب العالى فتوافرت لديهم قدرات قتالية عالية لم تتوفر لجيش العرب، فكانوا يستخدمون

نظامــا قتاليــا منظما لم تتدرب عليــه الجيوش العربية مــن قبل، إلى جانب أسلحتهم ومعداتهم القتالية الحديثة، كما توافرت لهم الدراسة الكاملــة الدقيقة لإمكانيات الخصم العربــى الضعيف فى ذاك الوقت، لكل هذه الأسباب كان النصر والغلبة لليهود فى حرب فلسطين ١٩٤٨م.

إلى جانب أن الــدول العربية كانت وقتها تحت الاحتلال الأجنبى الذى وضع قيودا عليها، وانعكست هذه القيود على إعدادها لجيوشها، فانحصــرت مهمة الجيــوش العربية داخــل بلادها لحمايــة الحكام والأنظمــة الحاكمــة فقط ولم تكــن مهمتها الحروب مــع دول أخرى، وبالتالى لم يتم إعدادها الإعداد اللازم لمثل هذه المواجهات الشرســة فى الحــروب، بالإضافــة إلى أن الدول العربية كانــت تعتمد فى حصولها على الســلاح بنسبة كبيرة من السوق السوداء التى كانت تبيع مخلفات الحروب أيا كانت حالة الأســلحة المباعة، ولم يكن للمشــترين العرب الحق فى تجريب هذه الأســلحة لاختيار الأفضل من بينها، وفى نفس الوقت لم يكن أمامهم بدائل أخرى فكانوا مضطرين لشراء المعروض منها مهما كانت حالته، هذه الأســباب كانت وراء ما أشــيع حول الأسلحة الفاســدة التى كان فيها قدر كبير من المبالغــة فكيف للعرب بما كانوا عليه أن يأتوا بالنصر فى حرب فلسطين آنذاك؟

وانتهى عمل النقيب «ســعد الشاذلى» فى الحرس الملكى مع نهايات عــام ١٩٤٩م، ليبدأ مــع حلول أوائل الخمســينيات مرحلة جديدة من حياته العسكرية قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م.

الشاذلى يرتب مع عبد الناصر لثورة يوليو:

كانت علاقة الجيرة التى جمعت بين «الشاذلى» وعبد الناصر فى عمارة واحدة بحى العباسية بالقاهرة قد قربت بينهما المسافات، وكذا تزاملهما فى التدريس بمدرسة الشئون الإدارية بالقوات المسلحة، واهتمامهما المشترك بالقراءات السياسية لكبار الكُتاب . وكانت مصر فى هذه الآونة تموج بأحداث عنيفة منها حريق القاهرة، الذى أدى إلى زيادة العنف والاضطراب فى الشارع المصرى وأشعل بدوره الغضب فى نفوس المصريين، وأصبحوا رافضين ما يدور فى وطنهم من ظلم وفى نفس الوقت غير قادرين على تغييره، و كان «الشاذلى» وعبد الناصر يعيشان نفس مشاعر الغضب التى كانت تعيشها مصر كلها، وبسبب الثقة التى كانت بين «الشاذلى» وعبد الناصر صارحه عبد الناصر بأنه يرتب مع ضباط التنظيم السرى (تنظيم الضباط الأحرار) لثورة قد تكون سببا فى تغيير التاريخ فى مصر، فتحمس «الشاذلى» للانضمام إليهم وكان يحضر اجتماعاتهم السرية ويرتب معهم خطوات تنفيذها، إلا أن ظروفه الدراسية وقتها حالت دون مشاركته فى قيام ثورة يوليو بسبب الدورة التدريبية التى كان يتلقاها فى كلية أركان حرب وللأسف تزامنت مع قيام الثورة.

وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢م بدأت مصر عهدا جديدا، ووقتها طلب عبد الناصر من «الشاذلى» أن يتولى رئاسة جهاز المخابرات، لكن

«الشـــاذلى» رأى أن موقعه فى الجيش كان يناســب طموحه العسكرى، وكان حبة للخدمة فى صفوف الجيش لا يعادله أى منصب.

وانتقل كل منهما (عبدالناصر والشـــاذلى) بأســرته إلى مســكن آخر تاركـــين وراءهما ذكرياتهما التى جمعتهما فى حى العباســية، وظلت صداقتهما ممتدة تحمل فرص تعاون مرتقبة فى المستقبل القريب.



الشاذلى قائدًا لكتيبة المظلات

كان الرائد « سعد الشاذلى» طموحا فى عمله ،يتمتع بعقلية إبداعية متفـردة كانت تقـوده دائمـا إلى التميز، لهذه الأسـباب جاء ترشـيحه للسـفر إلى الولايات المتحدة عـام ١٩٥٣م ليتلقى هناك دورة تدريبيـة فـى المظلات لم يسـبقه إليهـا إلا الضابط حسـن فهمى عبد المجيـد، فجاء هذا الاختيار موافقا لطموحات «الشـاذلى» فى التعرف إلى المجتمع الغربى، وهنـاك لم يجد صعوبة فى التكيف مع المجتمع الأمريكى إذ كان وقتها مجتمعا بسيطا يستوعب الغرباء مما سهل على «الشـاذلى» أن يقطع رحلته التعليميـة بنجاح - دورة القفز بالمظلات - التى وافقت شـغفه بالمخاطرة وركوب الخطر، فالقفز بالمظلات مخاطرة جسـيمة والمهمة فيها انتحارية يهبط فيها فى عمق أرض العدو لتنفيذ مهمة تدميرية هناك مدتها ٢٤ سـاعة فقط، ويعتمد خلالها على نفسه اعتمـادا تاما حتى تلحق به قواته البريـة، وقد يتعرض خلال مهمته لمخاطـر كثيرة، فقد يتم ضرب الطائرة التى سـيهبط منها قبل هبوطها فى أرض العدو، وقد لا يتمكن من فتح المظلة أثناء هبوطها، وقد يتأخر وصول القوات البرية إليه فلا تصل فى الوقت المناسب فتنفد منه الأغذية والذخـيرة فيواجه وحده مصيرا مجهولا على أرض العدو، وقد يقع فى

يد العدو فيأسره أو يقتله، وغيرها من المخاطر التي ترفع نسبة المخاطرة في سلاح المظلات، لذا كانت دورة المظلات تجربة مثيرة للرائد «سعد الشاذلي» في ذلك الوقت. بعدها عاد «الشاذلي» من أمريكا ليؤسس أول مدرسة للمظلات في الجيش المصري وتولى قيادة أول كتيبة منها في عام ١٩٥٤م.

الأقدار تفوت على «الشاذلي» فرصة القفز بالمظلات:

وتوالت الأحداث لتواجه مصر حرب العدوان الثلاثي من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل في عام ١٩٥٦م التي جاءت رد فعل مباشر لقرار تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦م انتقاما من عبد الناصر ! وكان المقدم «سعد الشاذلي» وقتها قائدا لكتيبة ٧٥ مظلات، وصدرت الأوامر العسكرية أن يستعد سلاح المظلات للهبوط في سيناء خلف العدو وقت الفجر، وبينما كان «الشاذلي» يستعد للإقلاع سبقته قوات العدو وضربت مطاراتنا المصرية بما فيها الطائرة التي كانت ستحمل «الشاذلي» إلى أرض العدو لتنتهي بذلك مهمته قبل أن تبدأ، وأصبح لزاما عليه أن ينضم إلى سلاح المشاة ليتحول دوره إلى صد العدو ومنع دخوله مدينة السويس.

وبانتهاء حرب ١٩٥٦م انتهت مرحلة هامة من الحياة العسكرية للمقدم «سعد الشاذلي» ليبدأ بعدها مراحل أخرى جديدة أكثر أهمية

تزامنت مع التغيرات فى العلاقات السياسية بين مصر والدول العظمى. فبعدما أدرك الرئيس عبدالناصر أن حصوله على الأسلحة لن يتم من خلال أمريكا حليفة إسرائيل، اضطر إلى الاستعانة بالاتحاد السوفييتى فى تسليح الجيش المصرى وتدريب قادته تنفيذا لسياسة تنويع مصادر الأسلحة.

بعثة دراسية للشاذلى فى روسيا

تقرر سفر المقدم «سعد الشاذلى» فى ١٩٥٨م فى بعثة دراسية إلى الاتحاد السوفييتى لدراسة العلوم العسكرية الحديثة هناك ليعكس التعاون العسكرى الجديد بين مصر وروسيا. فماذا وجد من فرق بين تدريس العلوم العسكرية فى الاتحاد السوفييتى للعرب عنها فى أمريكا؟ يجيب «الشاذلى» عن هذا السؤال فى واحد من حواراته المسجله فيقول:

«فى دراستى للمظلات فى أمريكا كنت الضابط المصرى والعربى الوحيد بين الدارسين من جنسيات أخرى، وكانت هناك بعض المحاضرات لايسمح لى بحضورها لأنى عربى، بعكس ما حدث مع الاتحاد السوفييتى فكان الفارق كبيرا إذ تعددت بعثاتنا إلى روسيا، وكانت البعثة الواحدة لا تقل عن ١٠٠ دارس مصرى (فصل كامل) وكلهم من القادة العسكريين فى الجيش المصرى، وفى نفس الوقت

كانت مصر تستقبل بعثات الخبراء العسكريين الروس ممن يتولون إعداد قادة الجيش فى مصر، وكانت هذه البعثات تعالج مشاكل عليا فى تنظيم قواتنا المسلحة بفروعها، وكذلك كانت جدية روسيا فى تقديم خبراتها ونظرياتها العسكرية الحديثه يعكس جديتها فى مساعدة مصر، ولكن هذه المساعدات كانت تتم كلها فى إطار الفكرالعسكرى المصرى والتنظيم المصرى وكل ما يتعلق بجيشنا كان مصريا متأثرا فقط بالخبرات والنظريات الحديثة للسوفييت، حتى استطاعت مصر أن تبدأ مرحلة الستينيات من القرن العشرين بقوة عسكرية جديدة».

هذا على مستوى الحياة العسكرية للشاذلى، ولكن كيف كان يعيش حياته الخاصة مع أسرته فى بيته فى هذه الآونة؟



ثلاثة رجال فى بيت «الشاذلى»

كانت الشخصية العسكرية للمقدم «سعد الشاذلى» تنعكس على كل جوانب حياته حتى فى بيته ومع أسرته، فلم ينس وعده لزوجته أن ينشئ بناته الثلاث (شهدان وسامية وناهد) تنشئة خشنة، لتحمل شخصياتهن بعض صفات الرجال عوضا عن ولد واحد تمنت زوجته إنجابه يوما ما، فحرص على إعداد بناته للحياة إعدادا خاصا يسمح لهن باكتساب مهارات مختلفة عن أقرانهن من البنات، فرأى أن تزويدهن بكل المهارات الممكنة سيعينهن على مواجهة الصعوبات التى قد تعترض طريقهن فى رحلة الحياة معتمدين على أنفسهن حتى يكتسبن شجاعة الرجال، فعلمهن الدفاع عن أنفسهن وقت الخطر، وتدبير أحوالهن دون اللجوء إليه حتى فى أبسط الأمور! فكان يتخلى عنهن فى مواقف كثيرة فى محاولة لإجبارهن على الاعتماد على أنفسهن دون الاعتماد على رتبته العسكرية لتذليل عقبات قد يتعرضن لها.

وتحكى ابنته شهدان الشاذلى عن علاقة «الشاذلى» الأب ببناته فتقول:

«حدث بعدما تسلمت أختى الوسطى (سامية) شهادتها الإعدادية أن اكتشفت خطأ فى اسمها المطبوع فى الشهادة، فطلبت من والدى

أن يرافقها إلى مدرستها ليساعدها في إجراءات تصحيح اسمها في الشهادة ولكن أبي رفض مطلبها وتركها تنهي وحدها الإجراءات الطويلة التي امتدت لأيام، وكان في إمكانه أن ينهيها من أول يوم لو استجاب لطلبها وذهب معها، ولكنه تعمد رفض مطلبها حتى تعتمد (سامية) على نفسها في كل شيء.

وحرص منذ طفولتنا الأولى أن يدربنا على التخلي عن مظاهر الحياة المترفة، ويعلمنا تحمل مسئولياتنا الشخصية كاملة منذ الصغر، حتى إن المصروف الشهري لكل منا كان يشمل (انتقالات، ملابس، فسحة، حفلات، الصديقات، مصروفات الدراسة و...) فإذا ما أسرفت إحدانا في إنفاق مصروفها الشهري، فعليها وحدها تدبير أحوالها لآخر الشهر دون مساعدة من أحد أو زيادة في المصروف تعوضها عن خسارتها.

وأصبح بيتنا تحت إدارة أبي الدقيقة وكأنه ثكنة عسكرية، كل شيء يدور داخله بدقة محسوبة وللوقت قيمة كبيرة، وكان أبي يفاجئنا في كثير من الأحوال بتفتيش دواليب ملابسنا لمراجعة ترتيبه وتنظيمه وكذلك كتبنا وأدواتنا الدراسية، يراجع كل شيء ويعاقب على التقصير تماما كما كان يفعل مع جنوده، فإذا ما وجد أي مخالفة لتعليماته التي وضعها لإدارة البيت يكون العقاب فوريا بحرماننا من لقائنا الأسبوعي بصديقاتنا.

وعلـى هذا النحو أصبح «الشـاذلى» الأب لا يختلف عن «الشـاذلى..
الضابط، فكان يضع لكل شـىء يخص أسرتنا خطة دقيقة لتنفيذها حتى
فـى قضاء إجازتنا الصيفية فى الإسـكندرية التـى كان يحرص على أن
يقضيها معنا، وكان يوزع مهام إتمام السفر فيما بيننا، ما بين مسئولة
عن حقائب السـفر، وأخرى عن الاتفاق مع السـيارات التى ستنقلنا إلى
الإسكندرية، وأخرى تسبق الأسرة للإشراف على تجهيز وإعداد مكان
الإجـازة، وهناك كان أبى يضع خطة دقيقة تسـمح باسـتغلال الوقت
الاستغلال الأمثل ما بين تدريبنا على الرماية باستخدام بنادق الرش،
وبـين المسـابقات التى كان يجريهـا فيما بيننا فى الجرى والسباحة
وسباق الدراجات.

وتستطرد شهدان الشاذلى في روايتها فتقول:

لم يغفـل والدى أن يقيس مهاراتنا فى طهى الأطعمة داخل مطبخنا
وذلك برغم وجود الخدم والمسـاعدين بالبيـت، فكان يجرى فيما بيننا
مسـابقات الطهي فإذا ما وجد أن الوجبة موضوع الاختبار تفتقر للمذاق
المناسـب يوقع الجزاء بالحرمان من الفسـحة الأسبوعية، وأضافت الأم
إلى ثلاثتنا (شـهدان وسـامية وناهد) الكثير من المهارات النسائية في
الاهتمام بأناقة المظهر ومهارات الضيافة ومسـايرة الحياة الاجتماعية
وتعلم الموسيقى والباليه.

وكانـت لوالدى القدرة على استشـراف المسـتقبل، فلمـا وجد أن المؤشـرات الدولية تنبئ بأن دولة ألمانيا قد تصبح فى المسـتقبل القريب قلعـة للصناعة الأوربية فى ذاك الوقت، اختار لثلاثتنا التعليم الألمانى لمواكبة ما سـيجد فى سـنواتنا المقبلة من تحديات، وكانت مدرسـتنا الألمانية فى حى باب اللوق وسـط البلد، فـكان والدى يطلب من كل منا تحديد الوقت الذى سنسـتغرقه فى الذهاب إلى المدرسـة بدقة، فإذا ما جاء يوم الامتحان وصلنا فى الوقت المناسب إلى المدرسة دون تأخير» إلى هنا انتهت رواية شهدان الشاذلى ولكن لازال فى حديثها رواية أخرى عن تجربتها الخاصة التى أرجعت الفضل فيها لوالدها.

من أجل ابنته: الشـاذلى ينشئ أول مدرسة لتعليم الفتيات القفز بالمظلات

ونقلا عن رواية أخرى لشهدان الشاذلى جاء فيها:

إن أسـرة الشـاذلى (زوجته وبناته) حضرن الاحتفال الذى أقيم فى منطقة السـباق بمصر الجديدة وذلك فى نهاية الخمسـينيات، وعندما لاحظ «الشـاذلى» الأب بذكائه انبهار ابنته (شـهدان) ابنة الخامسـة عشرة (بخارقة) قفز الجنود بمظلاتهم فى الهواء وهبوطهم على الأرض فسألها وقتها إن كانت ترغب فى تعلم القفز بالمظلات، فأصابها الإبهار مرة أخرى من أن أمنيتهـا يمكن أن تتحول إلى حقيقـة فأجابت على الفور: ياريت. بالرغم من أنها كانت وقتها تهوى الباليه.

ولأن «الشــاذلى» كان يتميز بقدرتــه الخاصة على تحويل الفكرة إلى واقع ملموس بأســرع مما يتوقع الجميع، استطاع أن ينشئ أول مدرسة للبنات لتعلم القفز بالمظلات وكان وقتها قائدا لمدرســة المظلات بالقوات المســلحة. وكانت شــهدان وقتها تلميذة بالمدرســة الألمانى، حين عاد إليها والدها بعد أيام قليلة ليفاجئها بأن حلمها البعيد بالقفز بالمظلات سيصبح بعد أيام حقيقة وأنها ستقفز يوما بمظلتها من الهواء إلى الأرض كما تمنت، وعليها أن تجهز نفسها خلال ٢٤ ساعة للالتحاق بمدرسة المظلات، وأوصاها أن تســارع بالحصول على أســبوع إجازة من المدرسة للإعــداد والتدريب، ولكن مديرة المدرســة وقتها رفضــت الموافقة على إجازة شــهدان ورفضت أيضا التحاقها بمدرسة المظلات لخطورتها على البنــات، وكانت هذه هى المرة الأولى التى اضطر فيها «الشــاذلى» الأب إلى التدخل لتســهيل حصول ابنته على إجازتها المطلوبة وســاعدها فى إقناع مديرة المدرســة بمساواة البنت والولد فى كل شىء حتى فى القفز بالمظــلات وهكذا حصلت ابنتــه على الإجازة، وكان فــى ذلك محاولة جريئــة من الشــاذلى أعلن فيها عن مقاومته للتمييــز بين الولد والبنت والذى كان سائدا فى المجتمع المصرى آنذاك.

كانت شــهدان هى أصغر البنات السبعة اللاتى دخلن عالم المخاطرة والمغامرة فى مدرسة القفز بالمظلات، وأخفى «الشاذلى» الأمر عن زوجته حتى لايصبح خوفها على (شهدان) عائقا يحول دون تحقيق حلمها فى تعلم القفز بالمظلات.

ولما بدأت شهدان تدريباتها مع تجربة القفز فى الهواء شعرت بالمسافة الكبيرة بين الحلم والحقيقة، ففى كل مرة كان خوفها من النتائج يزداد عن المرة التى تسبقها، ووالدها من ورائها يدفعها ويشجعها حتى تغلبت على الخوف وتعلمت الحذر والدقة فى حساب المسافات أثناء هبوطها فى الهواء، كيفية حماية جسمها من الصدمات لحظة نزولها على الأرض، والطريقة المُثلى فى تجميع أطراف مظلتها وتفاصيل أخرى كثيرة ومثيرة، جعلتها تعيش تجربة خاصة ومميزة، كان الفضل الأول فيها لوالدها «سعد الشاذلى».

وفى ذكرى الاحتفال بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٦٠م، كان الاحتفال بتخريج أول فرقة لبنات المظلات بحضور الرئيس جمال عبد الناصر، وفى لحظة فخر أمام والدها وأسرتها ورئيس الجمهورية قفزت (شهدان) على أرض نادى الجزيرة من ارتفاع ١٥٠٠ متر لتصبح بذلك أول فتاة عربية تقفز بالمظلات، وحظيت يومها بمصافحة الرئيس عبدالناصر الذى قام بتسليمها نوط التفوق، جائزة خاصة لتجربة فريدة فى مشوار حياتها، ولولا ثقافة «الشاذلى» الأب وفكره المميز الذى تجاوز به تقاليد عصره، وقدرته الخاصة على تحويل الأمانى إلى واقع، ما حظيت (شهدان) من بين بنات عصرها بتلك التجربة الفريدة التى تمت بحماس والدها «سعد الشاذلى» الذى كان حالة خاصة جدا من الآباء

الشاذلي يحدث أزمة دبلوماسية في الكونغو

استطاعت مصر بمساعدة السوفييت أن تبدأ مرحلة الستينيات من القرن العشرين بقوة عسكرية جديدة أشعرت الرئيس عبدالناصر بقدرته على مواجهة التحديات الخارجية خاصة بعد أن نال شهرة كبيرة في زعامته للأمة العربية بعد مساندته للثورات التحررية في الدول العربية وكذا الدول الإفريقية والتي كان من بينها الحركة التحررية في الكونغو برئاسة (باتريس لومومبا) عام ١٩٦٠م.

ومن أجل مساندة مصر لشعب الكونغو في حركته التحررية، تم تشكيل كتيبة عربية شاركت فيها الدول العربية لتنفيذ قرار تابع للأمم المتحدة لمساندة ثورة (لومومبا) هناك، واختار الرئيس عبدالناصر وقتها العقيد «سعد الشاذلي» قائدا للكتيبة العربية، لكفائته وحيازة ثقة الرئيس عبد الناصر في أدائه.

وهناك تمركزت الكتيبة العربية في منطقة (ليبنغي) وهي منطقة مهجورة في أقصى الشمال الغربي للكونجو، وتبعد عن العاصمة (كنشاسا) ١٢٠٠ كم، وتبعد عن مصر ٤٠٠٠ كم. وكانت الكتيبة العربية بقيادة العقيد «الشاذلي» مسئولة عن حماية مساحة ضخمة تعادل دولة سوريا تقريبا. ولم يكن «الشاذلي» يدرك وقتها أن تجربته في الكونغو ستجلب إليه الكثير من المتاعب والمفاجآت فيما بعد.

مفاجأة رائعة من الرئيس عبدالناصر

كانـت أولى مفاجآت الكونغـو هى صرف ٥٠ ألـف دولار للكتيبة العربية وإيداعها باسـم العقيد «سعد الشـاذلى» فى أحد بنوك الكونغو بأمر من الرئيس عبدالناصر لينفق منها «الشاذلى» على الكتيبة العربية هناك دون أدنى قيود تحسـبا لأى ظروف قد تطـرأ عليه، وذلك برغم أن «الشـاذلى» كان قد قام بتجهيز الكتيبـة المصرية تجهيزا دقيقا بكل شىء، والأمم المتحدة تحملت كل نفقات الإقامة والانتقالات ولم يكن فى حاجة لهذا الدعم المادى إلا إنها كانت لفتة تعكس مدى حرص الرئيس على الكتيبة العربية وتعكس أيضا ثقة الرئيس الخاصة وتقديره للعقيد «سعد الشاذلى».

وكانـت تجربة «الشـاذلى» فـى الكونغو تجربة ثريـة وعلامة فى مشـوار حياته العسـكرية عرف فيهـا الكثير بالاحتكاك المباشـر مع القوات الأجنبية هناك، وتعرف على إمكانياتهم العسكرية وأسلحتهم الجديدة وتفكيرهم العسـكرى، ولكن علـى الجانب الآخر كانت هناك الكثـير من المتاعب التى كان عليه مواجهتها. وكانت أولى هذه المتاعب زيارة العميد (أحمد إسماعيل على) للكتيبة العربية هناك بحجة تفقد أحـوال الكتيبة العربية والتعرف إلى مطالب الرئيس (لومومبا)، لكنه انتهزهـا فرصة للتدخل فى عمل العقيد «الشـاذلى» متخـذا من رتبته العسـكرية الأعلى من رتبة «الشاذلى» سـبيلا للتدخل فى عمله، فكان

الصدام عندما اعترض «الشاذلى» على تدخله ورفض توجيهاته، واتصل بالسلطات فى مصر لإبلاغهم بما حدث بينه وبين أحمد إسماعيل حتى انتهى الخلاف بعودة العميد أحمد إسماعيل ومجموعته إلى مصر، وكانت هذه الواقعة سببا فى بداية توتر العلاقة بين «الشاذلى» وأحمد إسماعيل وتركت فى نفس كل منهما أثرا سلبيا.

كيف واجه الشاذلى مأزق تغيير السلطة فى الكونغو؟

وعلى غير توقع من الجميع حدث انقلاب أطاح بالرئيس (لومومبا) الذى كانت الكتيبة العربية مكلفة بحماية ثورته ليحل محله الرئيس (موبوتو) لتتغير بوصوله إلى السلطة موازين الأمور خاصة بعدما عاد (موبوتو) للاستعانة ببلجيكا، وأسرف فى مهاجمته للرئيس جمال عبد الناصر وصرح برفضه لتواجد الكتيبة العربية على أرض بلاده (الكونغو) ووصفهم بالمستعمرين والمحتلين، وألحق الأذى بكل من كان يتقرب من الكتيبة العربية من أهل الكونغو أو يقدم لها العون والمساعدة، وأرادت السلطة الجديدة بذلك إحداث وقيعة بين شعب الكونغو وقواتنا العربية المرابطة على أرضه حتى بدا واضحا عداء الحكم الجديد لمصر.

وبالرغم من أن الكتيبة العربية أتت إلى الكونغو تحت علم الأمم المتحدة فإن العقيد «الشاذلى» لم ينس فى مواجهة هذه التغيرات أنه

تابع للنظام في مصر، فلما استشعر العداء من الرئاسة الجديدة ضد مصر بدأ يحتاط لحماية قواته تحسبا لما قد يجد من أحداث، ونصح جنوده وضباطه بضبط النفس، لما رأى أن أى رد من جانب قواته العربية على استفزاز (موبوتو) ستكون نتيجته معركة سيخسر فيها «الشاذلى» ما كسبه من تأييد شعب الكونغو ومساندته للكتيبة العربية على أرضه.

اضطر «الشاذلى» لسحب قواته العربية سرا وبحذر شديد بمعدل ٢٠ جنديا عربيا في كل مرة في انسحاب سرى تدريجي وبطيء؛ ليعسكروا بالقرب من مطار (ليبنفى) ليسهل إقلاعهم في أى وقت تحسبا لتغير الظروف أوصدور أوامر بالانسحاب! ليفوت «الشاذلى» على (موبوتو) مكائده ضد القوات العربية، إلا أن الجنرال (فينهور) قائد قوات الأمم المتحدة شعر بتحركات قوات «الشاذلى» وعسكرتها بالقرب من المطار. فأمر «الشاذلى» بسحب قواته العربية من منطقة المطار وفورا، وبسبب إحساس «الشاذلى» بالخطر على قواته العربية رفض أوامر(فينهور) واحتدم الخلاف بينهما (الشاذلى وفينهور)، وأمام إصرار «الشاذلى» وتمسكه برأيه اضطر (فينهور) إلى تهديد «الشاذلى» بتقديمه للمحاكمة لأنه لم يضع في اعتباره تبعيته للأمم المتحدة بينما «الشاذلى» لم تنسه تبعيته للأمم المتحدة أنه تابع لمصر ومسئول عن حماية الكتيبة العربية، وأنه الوحيد صاحب القرار السياسي والعسكرى فيما يخص قواته أثناء تواجدهم في الكونغو. وأمام إصرار كل منهما على

رأيـه (فينهور والشـاذلى) تصاعد الصدام بينهما فـى وقت لم تكن فيه السـلطة السياسـية فى مصر تعلم بهذا الخلاف الـذى تصاعد ليُحدث مشكلة سياسية تطورت إلى أزمة دبلوماسية.

وأخبروا «الشـاذلى» وقتها بترتيب لقاء سيتم فى مساء نفس اليوم، يجمـع بين «الشـاذلى» وبين الممثـل المدنى للأمين العـام للأمم المتحدة (همرشـلد) بحضور د.مراد غالب السـفير المصرى هناك، والذى حضر خصيصا من (كنشاسـا) عاصمة الكونغو لمناقشة هذه المشكلة، مما أشعر «الشـاذلى» بالحرج، فما كان يريد إحراج السـفير(غالب) فى مشـكلة «الشـاذلى» هو المسـئول عنها وقادر على مواجهة تبعاتها، ولكن كانت هذه هى الترتيبات التى حددها مسئولو الأمم المتحدة.

ولـما حان وقت اللقاء وبينما كان «الشـاذلى» يرتب فى عقله الحجج والبراهـين التى سـيدافع بها عن وجهة نظره، فوجئ بأن (همرشـلد وغالب) كانت تجمعهما معرفة سابقة بالأمم المتحدة وبدلا من الحديث عن الأزمة الدبلوماسـية التى تسـبب فيها «الشـاذلى» أخذ (همرشـلد وغالب) يسـترجعان ذكرياتهما الدبلوماسية القديمة التى تركت أثرا طيبا فى نفس كل منهما وأسـرفا فى سـردها وكأنهمـا فى زيارة ودية ليس لها علاقة بمشكلة «الشاذلى» حتى طالت جلستهم قرابة الساعتين و«الشاذلى» يترقب مناقشـة الأزمة التى أحدثها، ولكن انتهت المقابلة دون أن يتطرق حديثهما(غالب وهمرشـلد) إلى مشـكلة «الشاذلى» التى أتيا لمناقشتها.

وعند انصراف السفير غالب سأله «الشاذلى» بقلق عن السبب فى عدم مفاتحة (همرشلد) فى المشكله، فإذا به يستقبل قلق «الشاذلى» بابتسامة هادئة وكأن الأمر ما كان يعنى غالب ولا همرشلد، وأخبره أن مثل هذه المشاكل تخص جهات عليا فربما تحدث فيها عبد الناصر مع همرشلد شخصيا ليتخذا بشأنها القرار المناسب فيما بعد، ونصح «الشاذلى» بعدم القلق أو الاكتراث بهذه المشكلة، وانصرف تاركا «الشاذلى» مع دهشته من نتائج المقابلة.

وبالفعل بعد ثلاثة أيام حدث ما توقعه السفير غالب وصدرت الأوامر من الرئيس عبدالناصر بانسحاب الكتيبة العربية من الكونغو ليلتقى بذلك القرار السياسى لعبدالناصر مع الرؤية العسكرية للعقيد «الشاذلى» فى الانسحاب فكانت هذه الواقعة هى أول حدث دبلوماسى كان العقيد «الشاذلى» طرفا فيه وكان له دخل بالأمورالسياسية بين البلاد. وبعد ١٦٣ يوما قضتها الكتيبة العربية هناك عادت القوات المصرية بسلاحها وعدتها وعتادها و٥٠٠ ألف دولار منحة عبد الناصر، لم يحتج «الشاذلى» أن ينفق منها شيئا وبذلك لم تتكلف مصر أى أعباء أو خسائر فى الكونغو.

وانتهت تجربة «الشاذلى» فى الكونغو بعد أن تركت علامة مميزة فى مشواره العسكرى وكشفت عن حرصه على مصالح قواته حتى لو عرضه ذلك للمتاعب، وعاد «الشاذلى» إلى مصر ليبدأ مهمة عسكرية جديدة فى دولة اليمن كانت فى انتظاره ولم تكن فى حسبانه.

(من الأرشيف الصحفى تجربة الشاذلى من حديث للعقيد الشاذلى فى مجلة المصور بعد عودته من الكونغو ١٩٦٠م).

«الشاذلى» فى حرب اليمن

فى منتصف الستينيات كان الرئيس عبدالناصر يولى اهتماما كبيرا بثوار اليمن، فكان الجيش المصرى يمدهم بالأسلحة ويتولى تدريبهم على القتال فى محاولة لمساعدتهم على التحرر. وفى مهمة عسكرية جديدة سافر العميد «سعد الشاذلى» إلى دولة اليمن آنذاك عام ١٩٦٥م قائدا للواء يتراوح عدده ما بين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ ضابط وجندى لمساعدة الثوار، وهناك وجد أنه أمام حرب غير متكافئة القوى، فلم يجد هناك جيشا منظما فى مواجهته لمحاربته بالأسلحة، إذ كان العدو يفتقد النظام القتالى فاكتشف «الشاذلى» أنه سيواجه حربا كانت أقرب لحرب العصابات منها للحرب المتعارف عليها بالمواجهة بالأسلحة كان العدو يلجأ فيها للحيلة لمحاربة الجيش المصرى ومقاومته ،ولجأ إلى قتل جنودنا المصريين بطرق أخرى غير المواجهه بالأسلحة، فكان يقوم العدو أحيانا بزرع الألغام فى الطرق التى كان الجيش المصرى يمر بها ليصيب منه الكثيرين، وأحيانا أخرى كان يقوم بقطع الطرق على اللوارى والناقلات التى كانت تحمل إلى الجيش المصرى الإمدادات التى كانت تأتيهم من مصر عبر جدة بالبحر حتى تصل إليهم فى صنعاء، فكان العدو يقوم بقطع الطريق عليها ويقوم بنهبها والاستيلاء عليها قبل أن تصل إلى القوات المصرية! وساعدت الطبيعة الجبلية فى اليمن العدو على تحقيق ذلك. فكانت قواتنا المصرية تواجه هناك الكثير من

المتاعب غير المتوقعة، واستنزفت حرب اليمن الكثير والكثير من عُدة وعتاد الجيش المصرى آنذاك.

وعلى الرغم مما تكبدته مصر من خسائر هائلة فى حرب اليمن فإن الفريق «الشاذلى» وجد فى تجربة حرب اليمن مكاسب معنوية كثيرة قال عنها فى إحدى تسجيلاته :

«مكاسب الحرب فى اليمن كانت مكاسب سياسية أولها سقوط نظام رجعى متخلف كان يحكم اليمن بنظام القرون الوسطى لتنتقل اليمن بتحررها إلى نظام القرن العشرين وتدخل فى النسيج العربى الحديث، ووجود القوات المصرية هناك عجل باستقلال عدن عن بريطانيا فعجل بدوره باستقلال الدول المجاورة مثل سلطنة عمان والإمارات والبحرين والكويت، وعجّل برحيل الاحتلال البريطانى عن هذه المنطقة العربية لما وجد أن استمراره فى احتلالها سيكبده الكثير، فالمستعمر عادة يبحث عن احتلال بلا خسائر. ولم تكسب مصر من حرب اليمن أية مكاسب مادية لكن مكاسبها كانت مؤجلة، جنيناها على المدى البعيد فى حرب ١٩٧٣م عندما كانت قواتنا البحرية متمركزة عند مضيق باب المندب وساعدتنا اليمن وقتها فى إغلاقه أمام الإمدادات المارة إلى إسرائيل، ولولا رصيدنا لديهم فى حرب اليمن ١٩٥٦م ونجاحنا فى مساعدة شعبها على الاستقلال ما كان تعاونهم معنا فى حرب ١٩٧٣م وكذلك إمدادهم لنا بالمال وما حصلنا عليه من مساهمات من العرب

وصلت إلى ١٧ مليار دفعتها الدول العربية للسـادات في حرب ١٩٧٣م كل ذلك كان حصاد مساندة مصر لهم في حركاتهم التحررية»

ويبقـى سـؤال: هل كانت هناك صلة مباشـرة بين وجـود قواتنا المصريـة للحرب في اليمن وبين هزيمة جيشـنا في حـرب يونيه عام ١٩٦٧م (حرب النكسة)؟



في نكسة ١٩٦٧م
«الشاذلي» ينجح في حماية قواته من العدو

مع حلول مارس ١٩٦٧م بدأت إسرائيل تحشد قوات عسكرية بالقرب من حدود سوريا، وبالرغم من أن التهديد جاء لسوريا وليس مصر، فإن القيادات السياسية والعسكرية في مصر أسرعت باتخاذ قرار الحرب ضد إسرائيل حماية لسوريا في وقت كان من الصعب على الجيش المصري أن يحارب على جبهتين في وقت واحد، إحداهما في اليمن والأخرى في مصر لمواجهة إسرائيل العدو الشرس الذي يحتاج لمواجهته إلى استعدادت كبيرة ووقت كاف، ولذا لم يكن التصعيد لحرب ١٩٦٧ مدروسا دراسة كافية. وبالرغم من أن عبدالناصر كان يتمتع برؤية استراتيجية شاملة تشمل العوامل السياسية والعسكرية بكل جوانبها، فإن الصراع الخفي الذي كان يدور بين السلطة السياسية لعبد الناصر و بين عبد الحكيم عامر كسلطة عسكرية على قمة قيادات القوات المسلحة كان يؤثر بشكل كبير على القرارات السياسية في ذاك الوقت حتى كان القرار المتسرع بدخول الحرب، وللأسف لم تدرك السلطة في مصر خطأها في اتخاذ قرار الحرب إلا بعد فوات الأوان.

وجاء في الحديث المسجل للفريق «الشاذلي» عن حرب ١٩٦٧م:

إنه تلقى الأوامر بحشد القوات للاستعداد للحرب وتم دفع قواتنا إلى سيناء لتتمركز قوات «الشاذلى» فى المنطقة الشمالية من سيناء، ثم تلقى بعـد ذلك بأيام أوامر بالانتقال إلى الجنوب، وبعدها بأيام أخرى أوامر جديـدة بتغيير موقعه إلى موقع جديد، وبين كل موقع وآخر عشـرات وأحيانـا مئات الكيلومترات كان يقطعها «الشـاذلى» بقواته فى صحراء سيناء ذهابا وإيابا عدة مرات؛ مما أدى إلى إهدار كبير للقوات والمعدات والوقود، وشعر اللواء «الشاذلى» وقتها بمدى التخبط فى قرارات القيادة التـى كان يتلقى منها الأوامر، بعدها صدر القرار بتشـكيل مجموعات للعمليات الخاصة، وكانت إحداها تحت قيادة اللواء «الشـاذلى» وأطلق عليهـا (مجموعة الشـاذلى) وكان قائده فى سـيناء هـو الفريق صلاح محسن، وتمركزت مجموعة «الشاذلى» فى خط المواجهة الأول مع العدو على مسافة ٢٠ كم من الحدود الدولية مع فلسطين وذلك بعيدا عن الطرق الرئيسية المرصوفة، ولم يكن لدى «الشاذلى» قوات تكفى لمهمته الخطرة حتى حدث ماحدث يوم ٥ يونيه عام ١٩٦٧م.

مفاجآت ٥ يونيه الأليمة.

فـى صباح ٥ يونيه وفى السادسـة صباحا حملت «الشـاذلى» طائرة هليوكوبتر من موقعه فى سيناء إلى مطار فايد حيث التقى بقادة المحور الشمالى والجنوبى والأوسط فى سيناء وبعض القادة الميدانيين المعاونيين

ليلتقوا بالمشير عامر ليطلعهم على تفاصيل خطة الهجوم على إسرائيل، وبينمــا كان القادة فى انتظار وصول المشــير سمعــوا دوى انفجار هائل وبعــده بلحظات قليلة كان انفجار آخر فــإذا بمطار فايد - المجتمعين فيــه - قد تم ضربه، فاعتقــدوا أن مطار فايد وحده هو الذي تم ضربه، وعرفوا أن الحرب قد بدأت فى الوقت الذى كان فيه المشــير عامر لازال يحلق بطائرته في الهواء ولم يصل إليهم بعد ولايوجد أى قائد من قادة الجيش في موقعه بين قواته.

ويروي «الشــاذلي» عن حال جيشنا فى ســيناء بدون قادته في ذلك اليوم العصيب:

بعد ضرب المطارات أصبح الجيش فى سيناء بدون قيادة، كأنه جسد بــلا رأس، والحمد لله أن العدو لم يتســرب إليه خبر اجتماع القادة فى مطار فايد، فلو علم العدو لأصابهم جميعا بضربة واحدة فيصاب جيشنا كله بالشــلل التــام ولأربكت المفاجأة الجميع، ولم يكــن أمام القادة من خيارات إلا العودة فورا إلى قواعدهم وجنودهم فى ســيناء بالسيارات، ليقطع «الشــاذلى» قرابة ١٢ ساعة بالسيارة فى صحراء سيناء حتى وصل إلى موقعه فى المحور الجنوبى المواجه للعدو قبيل المغرب. ١٢ ســاعة مدة طويلة أن تقضيها قواتنا فى ســيناء بلا قيادة، مكشــوفة للعدو فى الصحراء بلا غطاء جوى والعدو يمرح فى سمائنا فوقهم بطائراته ولايجد أى قوة تتصدى له حتي وجد «الشــاذلى» قواته (مجموعة الشــاذلى) فى

حالة استنفار يترقبون وصوله بفارغ الصبر بعد أن أغارت عليهم القوات الإسـرائيلية فى أكثر من محاولة، ووقتها لم يكن لدى «الشـاذلى» أية خطـة هجوميـة يتبعها بعدما انفض لقاؤهم بالمشـير من قبل أن يبدأ، وكذا لم تحدث مناقشة لأى خطط هجومية، وزاد من الأمر صعوبة على «الشـاذلى» انقطاع اتصاله بالقيادات العليا فى سيناء ولم يكن يدرى ماذا يدور فى الأجواء من حوله.

لحظات عصيبة اعتصر قواتنا فيها القلق بعدما فقدت الغطاء الجوى الـذى من المفترض أن يحميهـا من العدو، وفقدت الاتصـال بالقيادات العليا، فلم يكن أمام «الشـاذلى» من حيلة يهتـدى بها ليعرف مايدور مـن حوله إلا الاسـتماع إلى الإذاعة المصرية ليتبـين الموقف، فإذا بكل بياناتها تبشـر بالنصر برغم الحالة المزرية التى يعيشـها «الشـاذلى» وقواتـه، فأدار المؤشـر لإذاعة العـدو ووجدها تعلن عـن بدء الزحف داخل الأراضى المصرية، واسـتمع «الشاذلى» فى ذهول إلى نداءات العدو لسكان المناطق المصرية التى اقتحموها فى سيناء تطلب منهم رفع رايات الاستسلام، فازداد «الشاذلى» قلقا عندما اتضحت له حقيقة الكارثة التى تمر بها مصر وخاصة أنه كان فى عزلة تامة عن باقى القيادات. وبحكم موقعه كان «الشـاذلى» هو الأقـرب لأرض العدو منها إلى طريق العودة، وكانـت مجموعة الشـاذلى بلا طـيران يحميها وبدون أسـلحة مضادة للطائرات تتصدى بها للعدو، وكان عدوه فى هذه اللحظات الرهيبة هو

الطيران الإسـرائيلى، حاول «الشاذلى» أن يحتفظ بهدوئه حتى يتسنى له تدبير الأمـر ليتمكن من حماية مجموعته من الطيران الإسـرائيلى فلم يجد أقرب إليه من منطقة جبلية داخل حدود فلسـطين أرض العدو الإسـرائيلى، وفى قرار جرىء قرر «الشـاذلى» أن يتحرك شـرقا إليها ليحتمى بجبالها من العدو فى عقر داره فى فلسطين.

فبدأ التحرك بقواته ليلاً ليحميه ظلام الليل من طائرات العدو، حتى اسـتقر بمنطقة تقع بالقرب من بئر للماء ليعسكر بقواته هناك فى بطن جبلين فيصعب فيها على الطيران الإسـرائيلى أن يراه، وحتى لو حدث ورآه العدو سيصعب عليه أن ينال منه، لأن سرعة طائرة العدو لن تتمكن مـن التوقف لضرب مجموعة «الشـاذلى» فلن تصـل ضرباتها إليها وهى مختبئة بين جبلين، واشـتهر «الشاذلى» فى الأوساط العسكرية بجرأته وبطولته فى حماية قواته من طائرات العدو فى حرب يونيه ١٩٦٧م.

قضت مجموعة «الشـاذلى» ليلة عصيبة فى حضـن الجبل فى أرض العـدو تحذره وتترقب انتقامه! واللواء «الشـاذلى» مع ضباطه وجنوده يتابعون إذاعة العدو وأخبار انتصاراتهم التى كان لها وقع مؤلم عليهم، فى الوقت الذى كانت فيه الإذاعة المصرية وسيلة المعرفه الوحيدة تعلن أنباء بعيدة تماما عن الحقيقة.

وكان يوم ٧ يونيه يوما رهيبا بتحدياته لمجموعة «الشـاذلى»عندما كشف الطيران الإسرائيلى مكانه وحاول ضرب قواته أكثر من مرة ليُعلم «الشـاذلى» أن قواته مرصودة من العدو الإسـرائيلى، لكن «الشاذلى» كان

مطمئنــا بعجز العدو عن النيل منه ومن قواته حتى لو كان يراه ويرصد مكانه، وفى نفس اليوم ٧ يونيه عصرا تلقى «الشاذلى» أوامر من القيادة العليا فى القاهرة بأن قواتنا فى سيناء قد انسحبت جميعها! ولم يتبق إلا مجموعة «الشاذلى» المختبئة فى فلسطين وأمرته بالانسحاب فورا.

«الشاذلى» يواجه أهوال الانسحاب فى الظلام

كانت ليلــة ٨ يونيه من أصعب ليالى حــرب ١٩٦٧م التى بدأ فيها «الشاذلى» الانسحاب بقواته ليلا ليقطع معظم المسافة فى الظلام، تحرك بمجموعته فى حذر شــديد متجنبين الطرق الرئيسية، لأن قواته كانت بلا غطاء جوى ومكشوفة تماما للعدو، والموت يتربص بهم فى كل خطوة وقابل «الشاذلى» بفرقته طوال الطريق أهوالا عظيمة قال عنها «الشاذلى»:

«كانت بجنودنا الجرحى إصابات بالغة على جانبى الطريق تصارع الموت فيحملهم معه ودباباتنا المحترقة بنيران العدو، وعربات الذخيرة كانت لا تزال مشتعلة والشظايا تتناثر منها حولهم فى كل الاتجاهات، وعربات وأسلحة ومعدات قضت عليها نيران العدو تماما حتى إن دخان احتراقها المتصاعد فى الهواء من حولهم كان يزكم الأنوف».

كل ذلك كان يثير الحســرة والألم فى نفس «الشاذلى» وهو يرى جثث جنودنا وضباطنا التى فتك بهم عدو شرس فحولها إلى أشلاء على أرض سيناء، والطيران الإســرائيلى يحوم فوق رءوسهم والموت يلوح لهم فى كل شــبر فى الظلام، حتى ظهر أول ضوء لبزوغ الفجر فكشفهم للعدو،

وما كان أمامهم ليصلوا إلى شـرق الإسماعيلية إلا ٩٠ كم وهنا بدأ طيران العدو يهاجمهم بشراسـة، فالعـدو كان يراهم فى وضح النهار وينتقى مايدمره من معداتهم فكان يضرب الطرق حول قوات «الشـاذلى» ليشـل حركتهـا ويكبدهم خسـائرهائلة وطال بهم الطريق والشـعور بمرارة الهزيمة والانسـحاب من سـيناء يعتصر قلوبهم وهم يتركون جزءا من أرض الوطـن الغالى فـى قبضة العدو ليرتع فيها كيف يشـاء ليخرجوا منها مهزومين على أرضهم.

بهذه المشاعر الأليمة كان «الشاذلى» يقطع طول الطريق ونيران العدو فوق رءوسهم بما تبقى معه من جنود ومعدات بعد الفقد الهائل للمعدات والقوات طوال طريق الانسـحاب حتى وصل إلى المعابر عند قناة السويس بعدمـا فقـد الكثير من معداتـه، وكانت (مجموعة الشـاذلى) هى آخر وحدة عادت إلى أرض الوطن وأمارات الألم ومرارة الهزيمة ترتسـم على وجوههم، وكان فى انتظارهم ضباط سـلاح المهندسـين عند البر الغربى ينتظـرون عبورهـم ليقوموا بنسـف المعابر قبل أن يلحـق بهم العدو، وكانت مجموعة «الشـاذلى» هى آخـر مجموعة عادت بدروس كثيرة عن الحـروب وأهوال الهزيمة فى ١٩٦٧م ودفع الجيش ومعه الشـعب ثمنا باهظا للقرارات الخاطئة حول الحرب لقياداتنا فى ذاك الوقت.

وبعودة مجموعة «الشـاذلى» أسدل السـتار على آخر معارك نكسة يونيه ١٩٦٧م، فماذا كانت المهمة التى تنتظر «الشاذلى» فيما بعد؟

حرب الاستنزاف علامة بارزة في مشواره العسكري

رفضت قياداتنا هزيمة ١٩٦٧م وأبقت على حالة الحرب مع العدو فيما عُرف بحرب الاستنزاف والتي كان يتم فيها عبور دوريات إلى العدو وعمل كمائن لقواته وتفجير مستعمراته في سيناء، وغيرها من الخطط العسكرية التي تفسد على العدو استقراره في سيناء.

فماذا كان دور «الشاذلي» في حرب الاستنزاف؟

يحكي اللواء محمد التميمي عن دور «الشاذلي» في هذه المرحلة قائلا:

«منذ ١٩٦٨م بدأت القيادة العامة في إعداد الجيش ووضع خطط جديدة استعدادا للحرب واسترداد سيناء؛ ووقتها شارك اللواء «الشاذلي» في إعداد مشروع سنوي تدريبي استراتيجي بوصفه قائدا للقوات الخاصة مع القيادات العليا والتي كان على قمتها وقتها الفريق محمد فوزي آنذاك. ففي الفترة من ١١يونيه ١٩٦٧ حتى ديسمبر ١٩٦٩م تولى اللواء «الشاذلي» قيادة القوات الخاصة وقد كانت له بصمة ارتبطت باسمه عندما قام ولأول مرة بضم الصاعقة مع المظلات في سلاح واحد، ليقضي بذلك على المنافسة التي كانت بين الصاعقة والمظلات لتتحول إلى تعاون إيجابي فيما بينهما.

وساعدنا الاتحاد السوفييتي بجدية في تعويض خسائر طائراتنا في النكسة وما دمرته إسرائيل في حرب ١٩٦٧، وكنا قد فقدنا الطائرات

لكننا لم نفقد الطيارين، وبدأت طائراتنا فى هذه الفترة تُغير فى طلعات دوريـــة على العدو حتـــى انتبه إلى قواتنا الجديـــدة فانتقم منا بعدوانه الشـــهير فـــى ١٩٦٩م فى بحر البقر وفى أنشـــاص مقـــر تدريب أبطال القـــوات الخاصة لأن معظم عمليات الاســـتنزاف كانت تقوم بها القوات الخاصة من أنشاص بقيادة اللواء «الشاذلى» وتمكن العدو وقتها من تدمير كل قواتنـــا الجوية الجديدة وقواعدها، وعادت سماء مصر مفتوحة أمام إسرائيل وأصبح الموقف خارج إمكانياتنا حتى نجح الرئيس عبد الناصر فى نهاية ١٩٦٩م بالاتفاق مع روسيا على إمداد الجيش بالسلاح وقوات مقاتلة من موســـكو، وأرســـلت روســـيا ولأول مرة طيارين لتعادل بهم القـــوى بين مصر وإســـرائيل وجاءت معها بخبراء للأســـلحة وخبراء تدريب ومستشـــارين معاونين للقادة أثناء حرب الاســـتنزاف، وكانت مهمتهم التصدى للطائرات الإســـرائيلية داخل مصر وبما لا يتجاوز ١٥ كم نحو الضفة الغربية من قناة الســـويس. وظلت المساعدات العسكرية مـــن الســـوفييت إلى أن أصبحنا قادرين على إعداد كـــوادر خاصة (بنا).

انتهت رواية اللواء/ التميمى

وفـــى يوليـــه ١٩٧٠م وأثنـــاء حـــرب الاســـتنزاف أصـــدر الرئيس عبدالناصر قرارا مفاجئا بنقل اللواء «الشـــاذلى» إلى البحر الأحمر ليتولى قيادة المنطقة العســـكرية هناك، فما الذى حدث وأدى إلى نقل «الشاذلى» على وجه الســـرعة من أنشاص إلى البحر الأحمر؟

إبداعات عسكرية «للشاذلى» فى البحر الأحمر

جاء فى رواية العميد (يحيى الشاذلى) أن العدو كان يُحدث مع قواتنا فى البحر الأحمر مناوشـات عنيفة خلال حرب الاسـتنزاف، حتى إن العدو أسـرف فى انتقامه فى سـبتمبر ١٩٦٩م عندما تسـللت جنـوده إلى منطقة الزعفرانة وتصادف فـى هذه اللحظات مرور محافظ البحر الأحمر بسـيارته فاعترضوا طريقه وقتلوه وسـائقه، وكان لهذا الحدث المؤسف وقع سـيىء على الرئيس عبد الناصر فاضطر إلى إصدار قـرار بنقل اللواء «سـعد الشـاذلى» من قيادة الصاعقة بمنطقة أنشـاص ليتولى قيادة المنطقة العسكرية بالبحر الأحمر ليتصدى لعمليات الإغارة الإسرائيلية هناك لثقة الرئيس فى كفاءة اللواء «الشاذلى».

وهناك أحكم اللواء «سعدالشاذلى» سـيطرته العسكرية على المنطقة العسـكرية ليتصدى لهجمات العدو هناك، فقام بتدريب أكفأ الضباط، وصف ضباط الصاعقة على القيام بعمليات إغارة لإحدى النقاط الحصينة مـن خط بارليف، منها النقطة التى كانت تقع بين رأس العش والتينة فى القطاع الشمالى لإرباك القيادة الإسرائيلية هناك، فجاء رد فعل العدو على إغارات قوات «الشـاذلى» أكثر عنفا، وفى تحد سـافر قامت قوات العدو بعملية إغارة شرسة على جزيرة شدوان، فأصدر «الشاذلى» أوامره

لقائد سرية الصاعقة التى كانت تحمى الجزيرة بالصمود والاستبسال حتى لحق به «الشاذلى» وجنوده بطائرة هليوكوبتر على الفور وتبعته ٢ سرية صاعقة، ونتج عن الاشتباك تدمير جزء لا يستهان به من سرايا العدو وطائرة هليوكوبتر، وقتلت قوات «الشاذلى» وأسرت عددا كبيرا من جنود العدو، مما دفع باقى قواتهم أن يلوذوا بالفرار من الجزيرة بعد هزيمتهم واستنجدت (جولدا مائير) بالرئيس الأمريكى لعمل هدنة بين الجانبين المصرى والإسرائيلى ووقف إطلاق النار، وقالت جملتها الشهيرة: (أنقذونا من المجرم سعد الشاذلى) واعتبر «الشاذلى» هذه المقولة وساما على صدره، بعد مذبحة شدوان تم بالفعل وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر، ووقتها تظاهر الشباب الإسرائيلى أمام الكنيست ضد وقف إطلاق النار فطالعتهم جولدا مائير قائلة: (كيف تتظاهرون فى يوم السبت الحزين بعد مذبحة «الشاذلى» فى شدوان الذى قتل من ضباطنا وجنودنا الإسرائيلين وأسر منهم الكثيرين).

انتهت رواية العميد/ يحيى الشاذلى

ويحكى اللواء أشرف راشد الذى قضى فترة من خدمته العسكرية فى البحر الأحمر وقتما كان «الشاذلى» قائدا لها فيقول:

بالرغم من أن قوات «الشاذلى» كانت محدودة فإنه استطاع أن يواجه العدو بخطط قضت على هجماته هناك، فعندما كان العدو الإسرائيلى يقوم أحيانا بزرع الألغام ليلا كانت جنودنا ترصد أماكنها وتنزعها فى

الصباح. وكان العدو يقوم بتنفيذ عمليات شرسة ضد المدنيين ردا على هجمات «الشاذلى» فيُسقط قواته بالمظلات على طريق الأسفلت ليقطع الطريق على المارة المدنيين، ويأسر بعضهم ثم يحملهم بطائراته إلى إسرائيل. ويبالغ مبالغة شديدة في الإعلان عن عدد الأسرى وحدث ذلك بالفعل في طريق قنا القصيرعندما أسر ٥ من المدنيين وأعلن أنهم ٥١ أسيرا. ولمواجهة ذلك والقضاء عليه بدأ اللواء «سعدالشاذلى» التركيز بقواته على ٥ مناطق. ومنع السير ليلا على الطرق العسكرية والمدنية بدءا من قبل الغروب بساعتين حتى الساعات الأولى من الصباح (حظر تجول) ليضيق على العدو فرصة التعرض للمدنيين هناك. كما أقام نقاطا للمراقبة الجوية، كل نقطة بها ٥ جنود لرصد حركة العدو وتضييق الفرصة عليه عند التسلل. ونجح اللواء «سعدالشاذلى» بالفعل فى إحكام قبضته على المنطقة. فلم ينجح العدو خلال قيادته لمنطقة البحرالأحمر فى أسر أحد من المدنيين أو العسكريين ولا حتى الإغارة على أية نقطة. كما نجح في إقامة مناطق آمنة فى رأس غارب والغردقة وسفاجا والقصير حتى ارتبط الأمان هناك باسم «الشاذلى» بعدما كبد العدو خسائر فادحة.

ويضيف اللواء أشرف راشد:

لم يكتف اللواء «سعد الشاذلى» وقتها بتدريب قواته على القتال وحسب وإنما كان يعلمهم مهارات أخرى ويحرص على تعريفهم بكثير

مــن المعلومات منها أهمية المد والجــزر للبحر وتأثيره على تحركاتهم نحو العدو، وكان يصدر ما عرف (بتوجيهات الشــاذلى) التى اشــتهر بهــا آنــذاك فى الجيش وكان يصدرها كل شــهر فى كتيــب لكل ضابط وكل جنــدى، كان يحتوى على تعليمات تفصيليــة دقيقة لدور جنوده وضباطــه وكان الجميــع يلتــزم بتنفيذهــا بدقة منها مــا كانت تقضى بترشيد استهلاك المياه لندرتها، وكذا طرق الاستخدام الأمثل للذخيرة والأســلحة وتجنــب الفاقد منها، وتعليمات أخــرى كثيرة تحدد عمل الضباط والجنود وتحركاتهم خلال ٤٢ ساعة، ولم يترك اللواء «الشاذلى» شــيئا مهما كان صغيرا أوكبيرا إلا واستفاد منه، منها على سبيل المثال لا الحصــر أنه عندما لاحظ ما يفيض من فتــات أطعمة الضباط والجنود لم يســمح أن يُلقى بالفتات فى القمامة، بل أمــر بإقامة حظائر لتربية الدجاج خلف المطابخ للاســتفادة من فائــض الأطعمة ليقدم الدجاج فيما بعــد ضمــن الوجبــات الغذائية على موائــد الضباط والجنــود كأطعمة ترفيهيــة. وغيرها مــن الأفكار التى لا تتســع الأوراق لحصرها لكنها تكشــف عن عقلية «الشــاذلى» الإبداعية وابتكاراته مع كل شــىء مهما كان بسيطا.

انتهت بذلك رواية اللواء أشرف راشد

الشاذلى رئيسا لأركان حرب الجيش

بعد مــرور مايقرب من عام على رحيــل الرئيس جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠م أصدر الرئيس السادات فى ١٦ مايو ١٩٧١م قرارا بترقية اللواء «الشــاذلى» إلى رتبة الفريق وتعيينه رئيســا لأركان حــرب القوات المســلحة، ويعلق اللــواء جمال مظلوم علــى هذا القرار فيقول:

جــاء هــذا التعيين تقديرا لكفاءة «الشــاذلى» وجهــده خلال حرب الاســتنزاف، متخطيا بترقيته دفعتين من زملائه ما كان «للشاذلى» أن يسبقهم إليها إلا بكفاءته التى اشتهر بها، ووقتها عن تعيينه مفاجأة للشــاذلى وزملائه اللــواءات الذين تجاوزهم بالترقيــة، وكانت ترقية «الشــاذلى» فى هذا التوقيت تعكس ذكاء الرئيس السادات فى اختيار قادة الجيش، خاصــة أنها جاءت بعد ثورة التصحيح بأيام والتى أطاح فيها الرئيس السادات بمراكز القوى التى تآمرت عليه، ولأن «الشاذلى» كان عســكريا محترفا لا يســعى إلى المناصب أوالتقرب إلى أى ســلطة، ولم يكن محسوبا على أى تكتل، فكان «الشاذلى» من وجهة نظر السادات شخصية محايدة سياسيا وله تاريخ عسكرى مشرف، فاعتبر «الشاذلى» والسادات هذه الترقية فى هذا التوقيت الحرج شأنا وطنيا لصالح مصر. فماذا قدم «الشاذلى» لمصر فى منصبه الجديد؟

يعـود اللواء محمد التميمى ليحكى عن جهود «الشـاذلى» فى إعداد الجيش لمعركة أكتوبر فقال:

«أراد الفريق «الشاذلى» أن يضاعف عدد ضباطه، ولأن الضابط يحتاج فى إعـداده إلى جهد كبير خاصة أن «الشـاذلى» كان يُعد الضابط ليصبح قائـدا وليس مجرد ضابـط يتلقى أوامر لينفذها، وكان سـبيله لتحقيق ذلـك هو وضع برنامج لمضاعفـة عدد الضباط، وتدريبهـم تدريبا جيدا على أسـلحتهم، فوزع ضباط الاحتياط حاملى الشهادات الجامعية على مـدارس الأسـلحة المختلفة، وحـرص أن يظل كل منهـم فى تخصصه حتى قيام الحرب فيما بعد، ليكتسـب كل ضابط مهارة عالية بتدريبه وملازمته لسـلاحه لسـنوات، ولم يسـمح بتنقل الضباط بين الأسلحة المختلفة، ليحصل فى النهاية على كوادر متخصصة.

ومن الركائز الهامة التى اعتمد عليها الفريق «الشـاذلى» هى الشحن المعنوى المسـتمر للضباط وتوعيتهم بقضية مصر ضد العدو الإسرائيلى، فاسـتخدم اللافتات التى ترمز لحب مصر والاستبسال من أجلها، وأمر بتعليقهـا فى كل مكان يمكن للضباط أن يروها طـوال حياتهم اليومية (فى المطعم والممـرات وأماكن النوم وأماكن التدريب و....و....) وكذلك مطبوعات الإعداد المعنوى التى كانـت توزع عليهم والتى أطلقوا عليها (توجيهات الشاذلى).

دأب «الشـاذلى» على تقديم حلول عسـكرية فوريـة لكل ما يواجه ضباطه من مشـاكل مهما كانت صغيرة، وكان ينظم مؤتمرا شهريا يضم

قيادتين على الأقل وثلاثة مستويات لقيادات أقل حتى أدناها (الجندى) ليعرض كل منهم مشاكله للمناقشة فى حضور القيادات الأخرى، فقد يجد حلا لمشكلة أحد القادة لدى قيادى آخر فيتحقق الحل الفورى فى زمن قياسى، وكان «الشاذلى» يشرف بنفسه على هذه اللقاءات ويناقش الحلول معهم، وإذا صادفه مشكلة صعبة الحل يقوم على الفور بتكوين لجنة خاصة لحلها وفورا، وذلك لدعم الاتصال بين القيادة والجندى الفرد باعتباره أساس القوات المسلحة.

ساعد على إنجاح ذلك أن الفريق «الشاذلى» كان يتميز بصفات متفردة، منها إدارة الوقت والالتزام بالتوقيتات والمواعيد بدقة شديدة، والتخطيط الاستراتيجى الجيد، وتفوقه فى إعداد خطط وجداول العمل، ورفضه للتميز فى أى مجال عن باقى القادة كما حدث عندما رفض إقامة ملجأ خاص له كقائد ،واكتفى بملجأ أسوة بالقادة الأصاغر تحت الأرض، واهتم بتنمية الولاء والانتماء ومهارات الاتصال بين القيادات والضباط والجنود، بالإضافة إلى ذلك أدخل «الشاذلى» مايسمى (التدريب بالمغامرة) وهو إصطلاح معروف فى القوات البريطانية تعلمه «الشاذلى» فى بداية الستينيات عندما كان ملحقا حربيا فى لندن، ولم يكن هذا الأسلوب التدريبى متبعا فى القوات المسلحة المصرية فى ذاك الوقت، ويتلخص فى قيام القادة الأصاغر مع جنودهم ببعض الرحلات بعيدا عن وحداتهم وقادتهم على أن تجمع هذه الرحلات بين الترفية والتدريب

ليكتسبوا مهارة الاعتماد على النفس والابتكار واتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسـب، في عمل دءوب لم يسبقه إليه أحد، ولم يلجأ إليه أحد بعده حتى تحقق مـا تمناه من إعداد قوة مماثلة من الضباط مضافة إلى قوته الأساسية ليتضاعف عددها خلال سنتين فقط.

إلى هنا إنتهت رواية اللواء/ محمد التميمي

ساهم هذا الجو النفسي الذى أحدثه «الشاذلى» في رفع الروح المعنوية للضباط والجنود التي أعانتهم على دخول الحرب المرتقبة تملؤهم الثقة في أن النصر سـيكون لهم بإذن الله، لم يسـاهم هذا الإعداد العسـكرى والنفسي غير المسبوق في تقوية الروح المعنوية للجنود والضباط وحسب ولكنه زاد من ثقة الفريق «الشاذلى» في المواجهة المرتقبة ضد إسرائيل، فدفعته هذه الثقة إلى أن يقدم مذكرة للرئيس السادات في نوفمبر١٩٧١م يسـتأذنه فيها بالسفر إلى دول الدعم العسكرى لطلب العون في الحرب المرتقبة مع إسـرائيل تنفيذا لتوصيات مجلس الدفاع المشـترك تمهيدا للاستعداد للحرب، فقد كان الفريق «الشاذلى» وقتها هو الأمين العسكرى المساعد بجامعة الدول العربية مع رئاسته لأركان حرب الجيش، ولكن مضى شهران ولم يرد الرئيس على مذكرة «الشاذلى» بالرفض أو القبول! فاضطر «الشـاذلى» إلى طلـب مقابلة الرئيس وتحدد موعـد المقابلة في ٢٧يناير ١٩٧٢م فماذا دار بين الشاذلى والسادات في هذا اللقاء؟

مباحثات مثمرة للشاذلى فى الدول العربية

فى اللقاء المرتقب فى ٢٧ يناير ١٩٧٢م تمت المقابلة بين الشاذلى والسادات، وأخبر الفريق «الشاذلى» الرئيس السادات عن عزمه على القيام بجولة فى بعض الدول العربية لطلب دعمها العسكرى لمصر استعدادا للمواجهة المرتقبة مع إسرائيل تنفيذا لتوصيات مجلس الدفاع المشترك، فقال السادات:

لا أوافق... إنها مضيعة للوقت ولن تكون هناك أية نتائج للزيارة، ولكنى أوافق على أن تزور ليبيا والسعودية فقط لأنهما بالفعل على استعداد لتقديم العون لنا، أما الدول الأخرى (الجزائر والمغرب والعراق) فإنها لن تعطى شيئا، لكنها ستستفيد دعائيا من زيارتك.

الشاذلى: ولكن سفرى إلى هذه البلاد سيكون بصفتى الأمين المساعد العسكرى للجامعة العربية وليس بصفتى رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة.

السادات: إن سفرك بصفتك الأمين العسكرى المساعد للجامعة العربية لن يلغى صفتك كرئيس للأركان، وسوف يستغلون صفتك هذه فى دعاياتهم لأبعد الحدود.

الشاذلى: إن علاقة مصر مع تلك الدول سيئة فإذا نجحت زيارتى فى الحصول على شىء لمصر فهو مكسب، وإذا لم أحقق شيئا فليس هناك ما نخسره.

رد السادات في غضب:

شوف يا سعد..... أنت رجل عسكرى محترف ولا تفهم فى السياسة، إنى أعمل فى السياسة وأتعامل معهم منذ عشرين عاما وأعرفهم جيدا، إنهم يزايدون أحيانا وينتقدون أحيانا أخرى ويعرضون مساعداتهم بشروط غير مقبولة، وكيف تقوم بزيارة دول تقوم بالتهجم علينا وانتقاد سياستنا ؟

استوعب الفريق «الشاذلى» بذكائه اعتراض الرئيس واستطاع فى نهاية اللقاء أن يقنعه بفكرته، وسرعان ما تغيرت لهجة الرئيس بعد اقتناعه بوجهة نظر «الشاذلى» وقال :

الله يجازيك ياسعد ! تقدر تقوم بزيارتك وسنرى ما ستتمخض عنه هذه الجولة العربية.

وبالفعل غادر الفريق «الشاذلى» القاهرة فى ٩ فبراير ١٩٧٢م متوجها إلى الجزائر، يرتب فى رأسه ما سيطرحه فى حواره مع القادة هناك، وكان الفريق «الشاذلى» يتميز ببراعته فى الإقناع وقدرته الفريدة فى تحويل فكرته إلى واقع فى زمن قياسى، وفى الجزائر وظف «الشاذلى» كل إمكانياته الإقناعية وذكاءه فى التحاور حتى كان له ما أراد وحصل بالفعل على موافقة المسئولين هناك على دعم مصر، وشجعه نجاحه فى الجزائر أن ينطلق منها إلى المغرب ثم ليبيا وبعدها عاد إلى القاهرة بنتائج مثمرة للغاية أرضت الرئيس السادات وشجعت «الشاذلى» أن

يعـــاود المحاولة في دول عربية أخرى. فقام مــن جديد بزيارة العراق فــي ٢٦ مايو حتى ٢يونيه ١٩٧٢م ونجح في تقريب وجهات النظر بين القاهرة وبغداد. (الفقرة السابقة نقلا من كتاب - الفريق الشاذلى وأسرار الصدام مع السادات - للكاتب محمود فوزى).

مناقشات حول قيام الحرب

بعد نجاح جولاته فى دول الدعم العســكرى بدأ «الشاذلى» فى وضع تصور لخطة الحرب وفى ٦يونيه ١٩٧٢م دعا الرئيس الســادات القادة العســكريين إلى مؤتمــر باســتراحته بالقناطر الخيرية لمناقشــة خطة «الشــاذلى»، وبدأ القادة ومعهم الرئيس الســادات يســتمعون إلى تقرير الفريــق أول أحمد إسماعيــل رئيس جهــاز المخابــرات العامة آنذاك وخلاصة ما جاء فى التقرير:

(تحذير من أن تقوم القوات المسلحة بأى عمليات هجومية ضد العدو حيث إنها غير مستعدة بسبب ضعف قواتنا الجوية، وبناء عليه تؤجل أى عملية حربية إلى أن تكون قواتنا متوازنة مع قوات العدو)

وجــاء اقتراح التأجيل متوافقا مع وجهــة نظر الفريق صادق وزير الحربية فى رفضه للحرب، فطلب الفريق «الشاذلى» الكلمة تعليقا على ماجاء فى التقرير قال فيها:

«ليس هناك خلاف على ضعف قواتنا المسلحة فى قدرتها على القيام بعملية هجومية كبيرة، ولكن إمكانياتنا الحالية تسمح بأن نقوم بعملية

محدودة نصيب بها إســرائيل فى نقطتى ضعفها، الأولى: هى عدم قدرة العدو على تحمل الخســائر البشرية لقلة عدد المقاتلين، والثانية: طول مدة الحرب لأن إسرائيل تعتمد على الحروب السريعة وتعبئ لها نسبة كبيرة من الشــعب اليهودى للاشــتراك فى الحرب مما يؤدى إلى توقف الحياة فى إســرائيل بكل قطاعاتها، فالاعتمــاد على إطالة مدة الحرب سيكون ســببا لتعجيز إسرائيل وتكبيدها خســائر بشرية، فتسقط من تلقاء نفسها عند المواجهه».

لم يكــن الهــدف الأول «للشــاذلى» هو الحصول علــى الأرض بقدر حرصه على الانتصار العســكرى بتدمير قوات العدو كخطوة أولى، فقد كان يرى أنه إذا تقدم جيشنا للحصول على الأرض دون القضاء أولا على العدو مع ضعف قواتنا الجوية والتفوق العســكرى للعدو نكون قد أتحنا الفرصة للعدو بتطويق جيشنا والانتصارعلينا. ذلك لأن العدو كان يتفوق علينا فى الطيران، ولديه ســرعة التواصل المباشــر لطيرانه مع دباباته على الأرض مباشرة وهذا مالم يتوافر لدينا. وبناءً عليه يصبح (القضاء على العدو أولا) هو الســبيل لتحقيق النصر واســترداد الأرض. فإذا تم الانتصــار على العدو أولا فتح النصر أمامه كل الأرض فيما بعد فيحصل عليها عندئذ بدون حرب أو خسائر.

وبعد استعراض الفريق «الشــاذلى» لخطته أعلن اللواء المسيرى قائد القوات الجوية تأييده المطلق لخطة «الشاذلى» ١٠٠٪، واستعرض القادة

العسكريون وجهات النظر المختلفة وأصبح القرار للرئيس السادات، ولكن انتهى الاجتماع دون أن يتخذ الرئيس قرارا محددا يحسم به خلاف وجهات النظر بين القادة حول الحرب.



«الشاذلى» يضع خطة المآذن العالية

وفى ٢٦ أكتوبــر ١٩٧٢م وبعدما اقتنع الســادات برؤية «الشــاذلى» طلب الفريــق أول أحمد إسماعيــل وزير الحربيــة من الفريق «الشاذلى» وضع خطة مبدئية للوصول إلى المضايق لإطلاع الجانب السورى عليهــا (والمضايــق هى ممرات ضيقة بين جبال ســيناء تمر من خلالها القوات المحاربة إلى داخل ســيناء) ووضع الفريق «الشاذلى»خطته طبقا للإمكانيــات الواقعية للجيش المصــرى آنذاك وكــذا إمكانيات العدو، وأطلــق على الخطة اسما ســريا (المآذن العالية) بينما كان الاســم المُعلن (الخطة ٤١) بهــدف التمويه على خطة المــآذن العالية، وكان الهدف من إعلان (الخطة ٤١) هو إعلام الروس بها لمســاعدتنا بتوفير الأسلحة والإمكانيــات اللازمــة لتنفيذها، وجعل «الشــاذلى» هــدف خطته هو الاستيلاء على ٣٠ : ٤٠ كم داخل سيناء على مرحلتين، الأولى التحرك حــوالى ١٢ كم فقط، يتم بعدهــا وقفة تعبوية لقواتنا قد تمتد لشــهور بهــدف إضعاف العدو بطول مدة الحرب فيســقط عنــد أول مواجهــة، بعدها يتم الاستعداد للمرحلة الثانية، ورأى «الشاذلى» أن تنفيذ الخطة علــى مرحلتين يفــوت على العدو مهاجمة الجيــش المصرى وتطويقه، وتم إطلاع الرئيس السادات والجانب السورى على الخطة بمرحلتيها.

إقالة الفريق صادق وزير الحربية

لم يكن الفريق محمد صادق وزير الحربية فى ذاك الوقت متحمسا بما يكفى لخوض الحرب ضد إسرائيل، حتى إنه لم ينفذ تعليمات الرئيس السادات بتبليغ أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة جميعهم فى اجتماع الفريق صادق بهم بالاستعداد للحرب لأنه كان يخاف الحرب ويخشى المعركة المرتقبة برغم بدء الإعداد لها! وغضب الرئيس السادات لما علم بمخالفة الفريق صادق لتعليماته واعتبرها سقطة كبيرة من الفريق صادق فاضطر لإقالته، وعين الفريق أحمد إسماعيل على بدلا منه والذى كان وقتها مديرا للمخابرات، وتم تعيينه وزيرا للحربية خلفا للفريق صادق وذلك فى ٣٠ أكتوبر ١٩٧٢م (ملخص رواية السادات فى ص ٨٤٢ من كتابه البحث عن الذات بشأن إقالة الفريق صادق)

قرار الرئيس السادات بإجلاء القوات الروسية عن مصر

وفى يوليو ١٩٧٣م جاء قرار السادات بإجلاء القوات الروسية فى توقيت حرج قبل حرب أكتوبر بشهرين وأصبح على الجيش المصرى أن يُضاعف من عمله لتعويض الفراغ الذى تركه الروس فى الجيش، مما زاد من العبء على الفريق «الشاذلى» فاضطر لمضاعفة الجهد لإعداد قوات جديدة، وبعدها بشهر واحد بدأ الاستعداد الفعلى لتنفيذ خطته عندما التقت القيادات العسكرية السورية والمصرية فى مؤتمر بالإسكندرية

فى ٢١ أغســطس ١٩٧٣م لمدة ٣ أيام لاتخاذ التدابير اللازمة للاستعداد للحرب ورفــع تقارير عن هذه اللقاءات لكل من الرئيس الســادات فى مصر والرئيس الأسد فى سوريا حتى تتخذ القيادات السياسية التوقيت المناســب طبقا لعوامل كثيرة منها أعياد اليهــود، وعوامل المد والجزر فى قناة الســويس، والليالى القمرية، وكذا الظروف الطبيعية فى سوريا وغيرهــا من الاحتياطات، بعدها تحدد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هو يوم الحرب وتم إبلاغ الجبهة الشمالية - سوريا - والأردن بموعد الحرب.

وهنا يحكى الفريق يوســف عفيفى المحافظ الأسبق للبحر الأحمر الذى كان قائدا للفرقة ١٩ مشاة فى حرب أكتوبر التى سجلها فى كتابه (الفرقة ١٩ مشاة أبطال فوق العادة) قائلا:

(أخذ الفريق «الشاذلى» يتابع الاستعدادات النهائية لتنفيذ خطته، وكعادته كان يراجع بدقة شــديدة أدق تفاصيل العبور بالساعة والدقيقة وربما بالثانية كما أعدها بالضبط، بعدما وصل حرصه إلى التأكيد على أن يحمل كل جندى وضابط سيقوم بالعبور حقيبة صغيرة على ظهره يحمل بها أطعمة جافة تكفيه ٢٤ ســاعة وجهاز لاسلكى ليتسنى له الاتصال بقيادته، وطلقات دخان ليســهل على طائرات الإنقــاذ أن تراه إذا ضل طريقه فى سيناء، وتحديد عدد الجنود فى كل قارب للعبور، وتوقيتات دقيقة لتحرك كل منهم فى لحظات العبور، كان «الشــاذلى» يعد لحرب أكتوبــر وعبور القناة كأنه يعد لاحتفال كبــير بالنصر، مطمئن بالروح

المعنويـــة المرتفعة لجنوده، واثق كل الثقـــة بخطته، ويؤكد بين الحين والآخـــر على تفاصيل متناهية الدقة كأنه فى ســباق مع التاريخ لينتزع من أيامه القادمة النصر لبلاده) وأضاف الفريق يوسف عفيفى:

(إن الفريق «ســعد الشــاذلى» نظم ببراعة فائقة انسياب مايزيد عن ثلاث آلاف مركبة عبر القناة فى فترة زمنية قصيرة حددها بحســاباته الدقيقة بألا تزيد على ٣ ساعات، ولم يترك فى تجهيز مسرح العمليات صغـــيرة ولا كبيرة بــكل تفاصيلها الدقيقة عن تجهيـــز المقاتل ومهامه المختلفة فى كل مراحل العبور والقتال شـــرق القنـــاة إلا وأعدها إعدادا غير مســبوق وأصدرها مكتوبة فـــى توجيهه التاريخى الذى أطلق عليه (توجيه ١٤) وهذه الجهود لابد أن تنســب للفريق الشاذلى بطل أكتوبر وسيظل التاريخ يذكرها له).

إلى هنا انتهت رواية الفريق يوسف عفيفى

وفـــى يوم الجمعـــة ٥ أكتوبر قبل العبور بـ ٢٤ ســاعة فقط، وبينما كان «الشــاذلى» يتفقد أحوال الوحدات العســكرية بطول القناة ويراجع كل شـــىء مراجعة دقيقة، اســتوقفه تجمع كبير للجنود والضباط حول اللواء عبد المنعم واصــل قائد الجيش الثالث الميدانى يخطب فى جنوده وهم يستمعون إليه فى انتباه هائل.

كان اللواء عبد المنعم واصل فى كلمته يشــعل حماس جنوده ويُحفز عزيمتهم للقتال ويمنيهم بالنصر ويدعوهم للاستبســـال ووضع الأرواح

على الأكف فإما النصر وإما الشهادة و.....و.... فقاطعه الفريق «الشاذلى» ليقــترح عليه اختيار صيحــة التكبير «الله أكبر» بمعانيها الحماســية لتكون صيحة العبور، ولما راقت الفكرة للواء واصل أمر «الشاذلى» بجمع ٢٠ من مكبرات الصوت لتوزيعها على الوحدات بطول خط القناة لتنادى علــى الجنود فى لحظات العبور «الله أكبر» فيرددها الجنود فى لحظات العبور فتشــتعل قلوبهم حماسا بنداء التكبير وتشحنهم بطاقة إيمانية لها قوة دفع تعينهم على العبور، حتى جاء ٦ أكتوبر يوم العبور، فماذا كان يفعل الفريق «الشاذلى» فى هذا اليوم التاريخى؟



أعظم أيام النصر فى مصر

منذ صباح السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣م إلى الساعة الثانية ظهرا (ساعة الصفر) كان الفريق «الشاذلى» منشغلا بتلقى تقارير تؤكد الاستعداد التام فى جميع الوحدات على خط القناة، ويتابع من خلال مركز القيادة موقع كل مقاتل واستعداده لمهامه القتالية المعدة له ليتأكد أن قواتنا فى حالة الاستعداد القصوى، وكان «الشاذلى» كقائد متحفز للثأر من عدوه يملؤه شعور بالقوة بترتيباته الدقيقة لكل شىء مع بعض من قلق ترقب التنفيذ، ويتابع تقارير عن أحوال العدو على الجانب الآخر شرق القناة فيطمئن لاسترخاء العدو وعدم انتباهه لاستعدادات قواتنا للعبور لمباغتته والهجوم عليه.

وكان الرئيس السادات فى مركز القيادة العامة يحتل مكانه على المنصة الرئيسة مع القائد العام ورئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات حتى جاءت ساعة الصفر الثانية ظهرا التى انطلقت فيها طائراتنا تضرب بقوة معاقل العدو فى الطلعة الأولى وتعلن نجاح الضربة الأولى نجاحا كاملا ومذهلا لإسرائيل والعالم كله، فى ثلث ساعة فقط وبعد عشرين دقيقة من ساعة الصفر كانت طائراتنا قد ضربت مراكز القيادة ومراكز إدارة الطيران ومراكز إدارة الدفاع الجوى للعدو «الله أكبر»، ولما تأكد السادات من نجاح الخطوة الأولى هنأ القادة فى غرفة العمليات،

وانطلقت جنودنا طبقا للخطة يتسلقون ببراعة هائلة الساتر الترابى على درجات من الحبال، وآخرون فى مواقع أخرى يشقون بخراطيم المياه ارتفاعات هائلة للساتر الترابى وهم يرددون «الله أكبر»، والزوارق المطاطية تندفع بقوة وبسرعة هائلة على سطح مياه القناة تحمل قواتنا إلى الجانب الشرقى فى سيناء «الله أكبر» وساعة وراءها ساعات وامتدت المعابر تشق مياه القناة لتصنع جسرا تعبر من خلاله أسلحتنا الثقيلة إلى سيناء وصيحة التكبير تزلزل قلوبهم وتشعلهم حماسا «الله أكبر» و «الشاذلى» بانتباه هائل يتابع بقلق بالغ أدق تفاصيل تنفيذ خطته خطوة بخطوة وتحركات جنوده على خط النار.

وعاشت مصر كلها فى هذا اليوم العظيم من تاريخها مفاجأة الحرب فى حالة ترقب وقلق شديدين أثناء متابعة العبور من خلال شاشة التلفاز، كان الشعب المصرى كله يترقب النصر ويخشى تكرار الهزيمة، لم يكن جنودنا وحدهم يرددون صيحة التكبير «الله أكبر» فى لحظات العبور ولكن كان يرددها معهم الشعب المصرى كله فى الشوارع والمقاهى والبيوت وفى المساجد خاصة أن يوم نصر العبور توافق مع يوم العاشر من رمضان حتى أطلق البعض على حرب أكتوبر حرب العاشر من رمضان.

وكان لإعلان الحرب والعبور مفاجأة أيضا لأسرة الفريق «الشاذلى» فى منزلهم، فلم يعلموا بالحرب إلا من خلال وسائل الإعلام مثل باقى المصريين! وعن هذا اليوم قالت السيدة زينات السحيمى زوجة الفريق «الشاذلى» فى حوار لها:

«أنا عشـت حياتي ربة منزل ويومها كانت عندى الخياطة وجاءت إلينا ابنة الجيران لتعلمنا بعبور الجيش للقناة، وكانت المفاجأة مدهشة لأن «سـعد» لم يخبرني أى شـيء عن عزمه على الحرب، وكانت تلك عادته. كان رجلا عسـكريا بكل ماتحملـه الكلمة من معنى، كان دائما مشغولا بعمله، وكان صامتا لايتكلم معنا عن عمله على الإطلاق، فعمله خط أحمر ممنوع الاقتراب منه أو الكلام عنه، وكان يسـافر ويعود ولا أعرف بسفره إلا بعد عودته وتلك كانت تعليماته لنا، وأصعب اللحظات التى عشـتها معه هى فترات الحروب لأننا وقتهـا ما كنا نعرف عنه شـيئا وكان يختفى لفترات طويلة دون أى اتصال بينما جيراننا الضباط كانوا يطمئنون أهليهم إلا «سـعد» ما كان يتصل بنا ولاندرى عنه شيئا. وبالطبـع لم يُعلمنا قط عن نية مصر فى دخول الحرب وظل قبل الحرب ثلاثة أشهر لم يحصل على إجازة».

كانـت قلـوب كل المصريين يملؤهـا خوف تكـرار هزيمة ١٩٦٧م وخـوف على أرواح أبنائهـم وذويهم المقاتلين على خـط النار ولم يكن أمامهم إلا الدعاء والتضرع إلى الله فى طلب النصر ونجاة أبناءنا المقاتلين على خط النار.

وفى يوم ٨ أكتوبر وبعد نجاح العبور وقف جنودنا البواسل بخطى ثابتـة وثقة المنتصرعلى أرض سـيناء الحبيبة والفرحـة ملء عيونهم وهم يسـتقبلون الفريق «الشـاذلى» فى ميدان القتـال ويهتفون بخطتة

(توجيــه ٤١) التى حققوا بهــا النصر فى مرحلته الأولى، و توجيه ٤١ هو التوجيه الذى حل فيه الفريق «الشــاذلى» ١٣٢ مشكلة كانت تواجه مخطط عبــور القناة وتدمير خط بارليف وإقامة رءوس الكبارى شــرق القناة، فى إنجاز خارق وغير مســبوق (حسب رواية الخبير العسكرى لواء د. إبراهيم شكيب).

والتــف الجنود البواســل حــول الفريق «الشــاذلى» يهتفون باسمه بفرحــة عارمة وثقة هائلة فى أروع حالة معنوية يمكن لقواتنا أن تصل إليها ربما خلال تاريخها العســكرى الحديث كله، ليسجلوا فرحتهم فــى تلك اللحظات التاريخية فى لقطــات فوتوغرافية التفوا فيها حول الفريق «الشاذلى».

ونجحت المرحلة الأولى من خطة «الشــاذلى» ووصل جنودنا إلى عمق ١٢ كم داخل ســيناء كما حدد لها «الشــاذلى» وهى حدود الغطاء الجوى المصرى واقتحموا خط بارليف ونجح جنودنا فى إسقاط بعض حصونه، وحطموا الأســطورة الكاذبــة للجيش اليهودى الــذى لا يُقهر. وارتفع العلم المصرى ليرفرف خفاقا على الضفة الشرقية من القناة معلنا انتصار قواتنا على العدو.

وفــى يــوم ١٠ أكتوبر وطبقــا للخطة كان على اللواء أول مشــاة أن يتحــرك جنوبا فــى محاولة لاحتــلال منطقة محددة فــى تقدم حرج لأنه ســيصبح خلال تحركه خارج المظلة الجويــة، لذا كانت تعليمات

«الشـاذلى» المشددة بأن يتم التحرك بعد آخر ضوء للنهار ليحميهم ظلام الليل فـلا يرصده طيران العدو ويدمره، ولكن قائـد هذا اللواء لم يتبع تعليمات «الشـاذلى» وخالفها بتعجل التحرك قبل الغروب بسـاعتين، فرصـده العدو فى ضـوء النهار وتتبعه حتى ابتعـد عن مظلته الجوية وانهال عليه العدو ضربا حتى شتته وقضى عليه تماما.

واتخذ الفريق «الشـاذلى» من هذه الواقعة دليلا على صحة تقديراته للمرحلـه الأولى من خطته وحرصه على عدم قدرتنا على التحرك بعيدا عـن مظلتنا الجوية، وكان «الشـاذلى» ينتوى أن يظل فـى مواقعه التى اخترقهـا واحتلها لشـهور طويلة حتـى ترتبك الحياة فى إسـرائيل وينهار اقتصادها فتضعف من الداخل وتسقط فيما بعد من ضربة واحدة عند أول مواجهة مع جيشنا، ولكن ماحدث فى اليوم التالى غيَر مقاييس خطة «الشاذلى» وأضعفها.

السادات يأمر بتطوير الخطة والشاذلى يعترض:

وكما جاء فى مذكرات الشـاذلى: إنه فى يوم ١٢ أكتوبر طلب أحمد إسماعيل من «الشاذلى» تطوير الخطة بقرار سياسى من الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحه وذلك للوصول إلى المضايق لتخفيف الضغط على الجبهة السـورية، فاعترض «الشاذلى» على تطوير الخطة على هذا النحو فى هذا التوقيت الحرج قبل أن تتاح للمرحلة الأولى من خطته أن

تستقر بما حققته كما رتب لها من قبل، ورأى أن تطوير الخطة للتحرك نحـــو المضايق فى هــذا التوقيت فيه مخاطرة كبــيرة لقواتنا، خاصة أن قواتنا ستكون خارج غطائها الجوى والمخاطرة ستكون نتيجتها الحتمية تدمير قواتنا، كما حدث مع لواء المشاة الذى تم تدميره بالكامل فى مساء يوم ١٠ أكتوبر عند محاولته الخروج بعيدا عن المظلة الجوية، كما رأى «الشاذلى» أن تطوير الهجوم لن يخفف من الضغط على الجبهة السورية عكس ما تصورت القيادة السياسـية، فرفض «الشــاذلى» القيام بمحاولة محكوم عليها بالفشل مقدما؛ حفاظا على قواته ومعداته.

فماذا كان رأى القادة العسكريين فى تطوير الهجوم؟



الفريق الجمسى
يكشف حقائق جديدة حول الثغرة

كانت الخطة التى أمـر القائد العام (السـادات) بتنفيذها فجر ١٤ أكتوبـر تتلخص فى عبورالفرقة١٢ المدرعـة والفرقة الرابعة عـدا لواء مدرع لتتحرك من غرب القنـاة فى اتجاه المضايق (اتجاه ممر متـلا، وممر الجدى وممرالطاسـة وممر بالوطـة) ،وتنفيذا للأوامر تم إعـداد التعليمـات الخاصة بتطوير الهجـوم، ولكن فـور وصول هذه التعليمات إلى قادة الجيشـين الثانى والثالث اتصل كل من اللواء سـعد مأمون واللواء عبد المنعم واصل «بالشـاذلى» وأعربا عن معارضتهما وعدم قدرتهمـا على تنفيذ الخطة الجديدة بنجـاح فى ظل الظروف المتاحة، وانتهز «الشـاذلى» فرصة المعارضة لمعاودة إقناع أحمد إسماعيل بالعدول عـن تطوير الهجوم، ولكـن كان هناك إصرار من أحمـد إسماعيل على ضـرورة الالتزام بقـرار تطوير الخطة لأنه قرار سياسـى، وبناء عليه أصبح على قواتنا أن تشن هجوما بنحو ٤٠٠ دبابة بينما كانت قوة العدو ٩٠٠ دبابـة فوق أرض من اختيار العدو وفى ظل تفوق جوى معاد وعدم توفر وسائل دفاع صاروخى لقواتنا المهاجمة، فكانت النتيجة الحتمية هى فشـل هذا الهجوم وخسرت قواتنا نحو ٢٥٠ دبابة (رواية الشاذلى نقلا من كتاب «قصتى مع النظام» ص ١٣١)

العدو يتسلل إلى الضفة الغربية فيما عُرف بالثغرة

وفى يوم ١٥ أكتوبر اكتشفت طائرة استطلاع أمريكية لم يستطع دفاعنا الجوى أن يسقطها ، لأن ارتفاعها كان خارج مدى صواريخنا، ثغرة بين الجيش الثالث فى السويس والجيش الثانى فى الإسماعيلية فأبلغت إسرائيل التى تحركت على الفور واستطاع (أريل شارون) - الذى أصبح فيما بعد رئيس وزراء إسرائيل - قائدا لإحدى الفرق المدرعة الإسرائيلية - أن يعبر بقواته إلى غرب القناة من هذه الثغرة عند منطقة الدفرسوار القريبة من البحيرات المُرة حتى وصلت القوات الإسرائيلية إلى طريق السويس القاهرة وبالتدريج ازدادت الأمور سوءا عندما تم تطويق الجيش الثالث بالكامل وأدى ذلك إلى تعقيد مسار الأحداث .

ويصف المشير الجمسى ماحدث فى الثغرة فى ص ١١٣ من كتاب (أسرار الصدام بين الشاذلى والسادات) فيقول:

فى ١٦ أكتوبر وبينما كان أحمد إسماعيل يرافق السادات أثناء إلقاء خطابه أمام مجلس الشعب كان الفريق «الشاذلى» فى مركز العمليات يتلقى بلاغا عن نجاح جماعات صغيرة من العدو بالتسلل إلى الضفة الغربية، ولكن اتضح فيما بعد أنها حوالى ٣٠ دبابة وكتيبة من جنود المظلات عبرت ليلا! ونظرا لخطورة الأمر تقرر رفع استعداد اللواء ٢٣ ضمن احتياطى القيادة العامة ليتحرك من شرق القاهرة إلى قطاع الجيش الثانى لمعاونته فى القضاء على القوة المتسللة، وعلى ضوء هذه التطورات

حضـر الرئيس السـادات إلى مركز العمليات واسـتمع إلى تقرير أحمد إسماعيـل، بعدها تقرر إيفاد «الشـاذلى» إلى قيادة الجيـش الثانى لمنع تدهـور الموقف واتخاذ اللازم للقضاء على العـدو غرب القناة ومحاولة قفـل الثغرة في شـرق القناة. وكنت (الجمسـى) على اتصال مسـتمر بالفريق «الشاذلى» لتبادل المعلومات والآراء.

وخـلال يومـى ١٩ / ٢٠ أكتوبر تقدمت قوات العـدو المدرعة غربا وجنوبا فى اتجاه فايد فى ظل تفوق جوى إسـرائيلى، وقد بذلت قواتنا مجهودا كبيرا خلال هذه الفترة الصعبة لحماية قوات الجيش بالتعاون مع الدفاع الجوى حتى بلغ متوسـط المجهود الجوى لقواتنا الجوية فى منطقـة الثغرة ٣٣٠ طلعة طائرة خلال المدة مـن ١٥ / ١٨ أكتوبر وكان ذلك دورا بارزا لقواتنا الجوية التى استخدمت فيها كل أنواع الطائرات المتيسرة.

ويستطرد المشير الجمسى فيقول:

وبعد أن ألم الفريق «الشاذلى» بالموقف تماما فى مساء يوم ٢٠ أكتوبر اتخذ القرار الذى يراه مناسـبا لمواجهة تهديد العدو الموجود فى غرب القناة وهو ضرورة سـحب أربعة لواءات مدرعة من الشـرق إلى الغرب خلال الـ ٢٤ ساعة التالية للدخول فى معركة ضد قوات العدو.

وذلك من وجهة نظره لايؤثر فى كفاءة دفاعاتنا فى الشـرق، بينما رأى أحمد إسماعيل غير ذلك، وكانت نقطة الخلاف الرئيسـة أن أحمد

إسماعيل يرفض رأى «الشاذلى» فى سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب، ولحسم الخلاف بينهما رأى «الشاذلى» أن الموقف خطير ويجب حضور رئيس الجمهورية لشرح الموقف أمامه.

بعد اجتماع الرئيس مع أحمد إسماعيل الذى استعرض خلاله الموقف اجتمع بالقادة ليلة ٢٠ أكتوبر الذين رأوا أنه لاداعى لسحب قوات من الشرق حسب رؤية الشاذلى، فرفض السادات خطة الشاذلى وأعطى تعليماته لأحمد إسماعيل بعزل «الشاذلى» من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الإسرائليين على أن يتولى الفريق الجمسى رئاسة الأركان. وبعدها اتصل السادات بالسفير السوفييتى لإجراء محاولات وقف إطلاق النار.

(من كتاب السادات والبحث عن الذات ص ٢٧٤ وما بعدها)

ولم يتح السادات الفرصة للشاذلى فى هذا الاجتماع أن يشرح خطته الدقيقة التى درس كل جوانبها لمواجهة الثغرة والتى رأى فيها أن انسحاب ٤ لواءات من الخط الثانى من الشرق لن يؤثرفى قواتنا المواجهة للعدو فى الخط الأول مستفيدا من أن الجيش كان فى أروع حالاته المعنوية بعد انتصار العبور، لتظل قواتنا حتى بعد سحب ٤ ألوية متفوقة على العدو فى العُدة والعتاد، ومتفوقة فى الدفاع وليس الهجوم تحت مظلتنا الجوية.

بينما رأى السادات وقتها أن فكرة الانسحاب قد تعيد إلى أذهان جنودنا وقائع الانسحاب الأليم الذى حدث فى ٥ يونيه ١٩٦٧م فتؤثر

فـى معنوياتهـم وبالتالى على أدائهـم، فكان الخلاف بين «الشـاذلى» والسادات حول كيفية مواجهة الثغرة هو الذى انتهى بإقالة «الشاذلى» من رئاسة الأركان.

ورأى «الشـاذلى» أن تدخـل الرئيس فـى قـرارات إدارة العمليات العسـكرية هو الذى أدى إلى تشـتيت الخطة العسـكرية التى وضعها «الشـاذلى» من البداية، وأن انفراد قائد سياسي يفتقد الخبرة العسكرية بقرار عسكرى في وقت حرج (وقت الثغرة) وأثناء الحرب دون الالتفات إلى رؤية «الشاذلى» الرأس المدبر للخطة والقائد العسكرى لمعركة العبور ورئيس أركان الجيش كان أحد أسباب اتساع الثغرة.

ورأى «الشـاذلى» أيضا أنه لولا تدخل السادات ورفضه خطته للقضاء على الثغرة ما كانت تمت محاصرة الجيش الثالث من العدو، وما كانت الثغرة اتسعت يوما بعد يوم فى مثل هذا التوقيت الحرج حتى اقتربت من مطار فايد.

وقد عبر الخبير العسـكرى اللواء د. إبراهيم شـكيب عن رأيه فى خلاف الرأى بين الشاذلى والسادات لمواجهة الثغرة:

«إن كلا الرأيين صائبان من منظور العلم العسـكرى إلا أننى أختلف مع رأى الفريق «الشاذلى» لفكرته سحب أربعة ألوية من الشرق إلى الغرب لمواجهة الثغرة، وأتفق مع السـادات فـى أنه لو تم ذلك لأحدث بالفعل إرتباكا شـديدا فى صفوف جيشـنا فى سيناء بسـبب أن تحرك الألوية

الأربعة بدباباتها من شرق القناة نحو غربها سيثير غبارا هائلا حولها يلفت أنظار باقى الجيش خاصة أنه لن يكون مفهوما لباقى القوات ماذا يجرى بالضبط؟ وسيكون تفسيره الوحيد لديها فى هذا التوقيت الحرج للغاية هو أن قواتنا بدأت فى الانسحاب العام، ومن ثم سيكون له أبلغ الأثر فى قواتنا المنتصرة وعلى معنوياتهم».

وطبقا لتعليمات الرئيس لم يتم الإعلان عن إقالة الشاذلى، ولكن متى عرف «الشاذلى» بأمر إقالته، وكيف كان رد فعله؟



إقالة الشاذلى من رئاسة أركان الجيش!!

انتهت الحرب،واحتفل المصريون بانتصارهم فى العبور وتابعوا على شاشــة التلفاز صور للقادة المكرمين من أبطال أكتوبر والرئيس الســادات يقلدهم الأوسمة والنياشين، بينما غاب الفريق «الشاذلى» قائد ملحمة النصر عن مشهد التكريم.!

ومــا حدث هــو إنه فى ١٢ يناير ١٩٧٤م اتصــل به وزير الحربية أحمد إسماعيل وطلب مقابلته، ليعلمه بقرار الرئيس بإقالة «الشــاذلى» من منصبه كرئيس لأركان حرب القوات المســلحة وأن الرئيس قد أصدر فى نفس الوقت قرارا جمهوريا بتعيين «الشــاذلى» بالخارجية ســفيرا لمصر بالدرجة الممتازة تكريما لدوره فى حرب أكتوبر.

لكن «الشاذلى» اعتذر لوزير الحربية عن قبوله منصب السفير و رأى إن كان هذا التعيين عقابا له فهو يفضل التحقيق لإظهار الحقائق، وأبدى استعداده للمحاكمة. وأصر «الشاذلى» على الرفض وفشلت مساعى الوزير فى إقناعه بقبوله العمل ســفيرا بالخارجية، وأنهى «الشــاذلى» المقابلة بتحرير اعتذار كتابى عن العمل بالخارجية لتسليمه للرئيس السادات.

وبرغم ذلك ســارت إجراءات تعيين «الشــاذلى» فــى الخارجية فى مســارها ،حتى فوجئ بخبر تعيينه ســفيرا بلندن منشــورا بالصحف

فسارع «الشاذلى» بطلب مقابلة الرئيس السادات الذى كان وقتها بأسوان وتحدد فيما بعد موعد المقابلة فى أسوان يوم ١٦ يناير ١٩٧٤م.

وسافر الفريق «الشاذلى» بالطائرة إلى أسوان على نفقته الخاصة لمقابلة الرئيس ووصف «الشــاذلى» لقاءه بالرئيس أنه كان لقاء وديا لم يخل من نبرة عتاب من الرئيس على رفض «الشاذلى» تعيينه بالخارجية، وطال بينهما ذلك النقاش الودى حتى اسـتطاع الرئيــس بذكائه وحنكته أن يتفهم وجهة نظر «الشــاذلى» فى الرفض وذلك لمعرفته بعشق «الشاذلى» للعمل فى الجيش، ولكن الســادات نجح بثنائه على «الشــاذلى» ومدح كفاءته العســكرية أن يقنعه أن اختياره للخارجية كان بســبب خبرته العسكرية المتميزة وثقة الرئيس فيه، بعدما أفهمه أن تعيينه فى لندن ســيكون مجرد تغيير لمكان عمله العســكرى، لأن مهمته هناك ستكون مهمة عسكرية وسرية، وتحتاج إلى رجل فى كفاءة «الشاذلى» وعهد إليه الرئيس بالاتفاق على صفقات أســلحة لمصر من ألمانيا، وأقنعه أن وجوده فى لندن سيسهل مهمته العسكرية الجديدة هناك.

واقتنع «الشــاذلى» برأى الرئيس الذى استشعر فيه الثقة، واعتبره ترضيــة كافيــة وتعويضا عن إقالتــه من الجيش، خاصــة أن عمله فى لندن ســيكون امتدادا لعمله العســكرى لخدمة القوات المسلحة، وعلى هذا النحو اعتبر «الشــاذلى» أن عمله فى لندن ســيكون بالفعل نوعا من التكريم، خاصة أنه كانت «للشــاذلى» خبرة ســابقة فــى العمل بلندن

فــى عهد عبدالناصر عندما كان ملحقــا حربيا لمصر هناك فى الفترة من ١٩٦١م إلى ١٩٦٤م بعد عودته من الكونغو.

ووقتها - ١٩٦١م - وجد «الشــاذلى» فى هذا التكليف من الرئيس عبــد الناصر تكريما خاصا له وأضاف إلى خبرته العملية الكثير، فلأول مرة ركب فيها «الشــاذلى» حاملة طائرات كانت فى لندن، وحضر أيضا مناورات للجيش البريطانى لمدة أسبوع كامل ومتواصل هناك، ليتعرف خلاله إلى الأســلحة الحديثة ويتدرب على استخدامها، واكتسب ثقافة وخبرة الاحتكاك بالقوات الأجنبية، والتقى بالقيادات العسكرية هناك فى كثير من المناسبات وقام بمناقشاتهم فى كثير من الأمور العسكرية.

وكانت تجربة «الشــاذلى» فــى لندن وقتها بالقطــع إضافة لحصيلته السياسية والدبلوماسية والعسكرية فى ذاك الوقت. واستفاد «الشاذلى» من هذه الخبرة بتطبيقها أثناء إعادة إعداد الجيش المصرى لحرب أكتوبر.

وقبل ســفره بأيــام قليلة قابل اللــواء رفعت حســنين نائب مدير المخابــرات العامــة وأخبره أن لديــه معلومات تفيد بــأن مجموعة من المتعصبين الإسرائيليين سوف يسافرون إلى لندن خصيصا لاغتيال الفريق «سعد الشاذلى» هناك، وأن المخابرات الإنجليزية لديها المعلومات نفسها ونصح «الشاذلى» بالحذر الشديد وعدم الإعلان عن موعد سفره ليبقى سرا لإحباط محاولة اغتياله! ولكن ما أن وصل الفريق الشاذلى إلى لندن حتى وجد متاعب ومفاجآت مذهلة كانت فى انتظاره ولم تكن فى حسبانه.!!

مفاجأة مذهلة للشاذلى فى لندن!!

استقبلت المتاعب والمفاجآت السـفير «الشـاذلى» عند وصوله إلى لندن عندما بدأ فى مواجهة حملة صهيونية ضد تعيينه سـفيرا لمصـر هناك. وكتـب عنها وقتها موسـى صبرى بجريـدة الأخبار فى ٢٩ / ٧ / ١٩٧٤م الذى كان يعرف الفريق «الشـاذلى» عن قرب وسـبق له أن أجـرى معه حوارات بعـد نصر أكتوبر من قبـل، وجاء فى عرضه لاتهامات الصهيونية ضد السفير «الشاذلى»: إن هذه الحملة كانت تعتمد على اتهامين، الأول أن «الشـاذلى» عندما كان ملحقا حربيا فى لندن فى السـتينيات كان على علاقة بالحزب اليمينى المتطرف (وهو حزب غير معترف به فى بريطانيا) الذى كانت سياسـته تتسم بالعداء للسامية، وأن «الشاذلى» كان يقوم بتشجيع الحزب وأكد «الشاذلى» مدافعا ضد هذا الاتهـام أنه اتهام باطل فلا يمكن له أن يكون ضد السـامية لأنه عربى وأصـول العرب التاريخية من أصل سـام. والفرق كبير بين الخلاف مع إسرائيل كعدو وبين معاداة السامية وأنكر «الشاذلى» هذا الاتهام.

أمـا الاتهـام الثانى فـكان مفاده أن «الشـاذلى» عندما كان رئيسـا لأركان حـرب الجيش المصرى خلال معارك أكتوبر أمر بقتل الأسـرى الإسـرائيلين، والحقيقـة أن «الشـاذلى» لم يُصدر هذا الأمر سـواء قبل

العمليات الحربية أو أثناءها أو حتى بعدها، لكنه أصدر توجيه لقواته بتوخى الحذر الشديد عند مواجهة العدو تجنبا لمكر العدو وخداعه، وأصدر أوامره بالإسراع بالإجهاز على العدو وقتله وهذا أمر طبيعى فى المعارك. فلا يُعقل أن يوصى جنوده وضباطه أن يقابلوا عدوهم عند مواجهته بالأحضان والقبلات. وهكذا فشلت القوى الصهيونية فى عرقلة تعيين «الشاذلى» سفيرا لمصر فى لندن. (انتهت الفقرة المختصرة من مقال موسى صبرى بجريدة الأخبار فى ٢٩ / ٧ / ١٩٧٤م)

ولم يعبأ السفير «الشاذلى» بهذه المتاعب المفتعلة وجعل تركيزه الأول فى مهمته العسكرية التى أتى من أجلها وبادر بتحديد موعد لمقابلة السفير الألمانى ليتعرف إلى فرص التعاون العسكرى المرتقب بين مصر وألمانيا والتى جاء خصيصا للاتفاق عليها، وتوقع «الشاذلى» أن المقابلة قد تطول، ولكن المفاجأة التى كانت بانتظاره جعلت المقابلة تنتهى فور بدايتها وانتهت بدهشة «الشاذلى» بعدما عرف من السفير الألمانى أنه ليس هناك نية فى مساعدة مصر بتسليح ألمانى، فاكتشف «الشاذلى» لحظتها أن المهمة التى كلفه بها السادات كانت فكرة وهمية ليس لها أى أساس من الصحة، وأن مجيئه إلى لندن والعمل بالخارجية كانت محاولة من السادات لإبعاده وإقصائه عن مصربعد تألقه وانتصاره (روزاليوسف، ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٥م).

وبالرغم من أن عمل «الشاذلى» سفيرا بالدرجة الممتازة ليس بالمنصب الهين فإن وقع المفاجأة كان كبيرا عليه، وزاد من دهشته الثقة التى

كانت بينه وبين الرئيس، فسبق أن حظى «الشاذلى» بتقدير السادات من قبل بترقيته رئيسا للأركان متخطيا بترقيته ٤٠ لواءً من زملائه، وعهد إليه الرئيس بوضع مشروع استراتيجى لإعادة إعداد الجيش لمعركة النصر قبل وبعد إجلاء الروس عن مصر، والسادات هو الذى وافق من قبل ذلك «للشاذلى» بإجراء مباحثات مع بعض الدول العربية لدعم مصر فى حرب أكتوبر وأتت ثمارها فى نصر أكتوبر، والسادات هو الذى كلف «الشاذلى» بوضع خطة العبور والتى نجحت المرحلة الأولى منها نجاحا باهرا أذهل العالم.

وبرغم ذلك أحدثت هذه الواقعة شرخا كبيرا فى جدار الثقة الذى كان يرتكن عليه «الشاذلى» فى علاقته بالرئيس السادات، واكتشف «الشاذلى» وقتها بُعد المسافة التى تفصل بين تفكيره كرجل عسكرى محترف، وتفكير الرئيس السادات ودهائه السياسى، فالسياسة متخمة بالألاعيب ولها قواعد كان السادات يتقنها جيدا ويمارسها ببراعة فائقة.

ولكن لأن الفريق «الشاذلى» كان يتمتع بشخصية صلبة وعنيدة فى مواجهة مثل هذه الصدمات، فلم يدع الفرصة لصدمته فى السادات أن تنال منه وأخذ يمارس عمله الدبلوماسى بمنتهى الحماسة للعمل والاستمتاع به.

وتحكى السيدة عبلة عادل خيرى عن واقعة لقائها بالسفير «سعدالشاذلى» أثناء عمله سفيرا لمصر بلندن فى أواخر ١٩٧٤م قالت عنها:

«اســتقبلنى الســفير المصرى الفريق «سعد الشــاذلى» مع أسرتى فى الســفارة المصريــة بلندن حيث أقام لى حفل تكريــم كبير دعا إليه كبار الشخصيات والإعلاميين والسفراء للاحتفال بى هناك فور إعلان وسائل الإعــلام العالمية نجاحى فى عبور المانش، وكنت وقتها أول فتاة عربية مصريــة تنجح فى عبور المانــش وكان عمرى وقتها ١٥ عاما. وكنت قد حققت بعبورى هذا رقما قياسيا عالميا كأصغر سباحة فى العالم آنذاك، وكان نجاحــى حدثا عالميا وفخرا لمصر نلت عنــه التكريم، وكتبت عن نجاحى الصحف المصرية والأجنبية، وكان الســفير «الشــاذلى» فخورا بإنجــازى وعبر عن ذلــك فى كلمته التى ألقاها أمــام ضيوف الاحتفال الذى أقامه خصيصا لى فى السفارة المصرية وصف فيه نجاحى بأنه ثانى عبور ناجح للمصريين، وكان حفل تكريمى من الســفير «الشــاذلى» هو أول تكريم حصلت عليه قبل عودتى منتصرة لمصر، وظل ذكرى ســعيدة لأسرتى لأول وآخر لقاء جمعنا بسفير مصر فى لندن الفريق «الشاذلى»».

واســتمر «الشــاذلى» فى عمله الدبلوماسى بنفس حماســه المعهود يعقد اجتماعاتــه ويحضر مؤتمرات ولقاءات ويدلى فيهــا بتصريحاته كقائد عربى منتصر، لكنه لم ينس أبدا فى ممارســته لعمله الدبلوماســى أنه تابع للســلطات المصرية، وبرغم ذلك كان قدره أن تلاحقه المتاعب أينما ذهــب فكانت المفاجأة الجديدة هى اســتدعاء وزير الخارجية إسماعيل فهمى للســفير «الشــاذلى» بشــكل طارئ للقاهرة للتحقيق معه بشــأن ما نسب إليه مؤخرا من تصريحات.

المتاعب تلاحق السفير الشاذلى. فى لندن

عاد الكاتب الصحفى موسى صبرى يكتب فى الأخبار فى ١٨ / ٩ / ١٩٧٤م تحت عنوان (حاقدون... حاقدون) عن أسباب استدعاء وزير الخارجية للشاذلى فى مصر وجاء فى مقاله:

نشأت قصة غريبة بين (السفير) الصحيفة و(السفير) الرجل «سعد الشاذلى». والسفير صحيفة مجهولة للقراء فى مصر وصدرت من بيروت، وكانت قد نشرت تصريحات كاذبة للسفير «سعد الشاذلى» وادعت الصحيفة فيها بما لا يجب أن يصدر عمن يمثل سياسة مصر بالخارج وجاء فيما نشرته «إن «الشاذلى» سفير مصر حضر اجتماعا فى النادى المصرى بلندن للطلبة العرب كان قد أقيم لتكريمه تقديرا لدوره فى حرب أكتوبر، وبالرغم من أن «الشاذلى» اشترط فى أسئلة الحاضرين ألا يكون فيها أى مساس بأى دولة عربية أو أى زعيم عربى، فإن الصحيفة ادعت باطلا أن السفير «الشاذلى» ورد فى إجاباته:

أنه اتهم القيادة السياسية فى مصر بأنها تراجعت خلال حرب أكتوبر عن الاستراتيجية التى كانت تعتمدها من قبل مما أدى إلى حدوث الثغرة وخروج مصر من المعركة، وأن القيادة المصرية استهانت وقللت من أهمية الثغرة فى المراحل الأولى إلى أن حدثت الثغرة (وهذا

مالم يصدر عن الشاذلى)، كما ادعت الصحيفة أن السفير «الشاذلى» طالب الشباب الثورى المثقف بأن عليه أن يعمل على ألا تخرج مصر من المعركة (وهذا مالم يصدر عن الشاذلى) بينما كانت الحقيقة أن «الشاذلى» طالب بمساندة مصر ودعمها لأن انتصارها فى أكتوبر كان نصرا لكل العرب وأن معركتنا مع إسرائيل لم تنته بعد، وأسرفت الصحيفة وبالغت فى ادعاءاتها الكاذبة التى أحرجت بها «الشاذلى» مع القيادة السياسية فى مصر، وادعت أن «الشاذلى» وصف نفسه بالزعيم القادم لمصر (وهذا أيضا لم يصدر عن «الشاذلى») فهل كان «الشاذلى» بالفعل صاحب هذه التصريحات أم كان مُفترى عليه ؟

ويستكمل موسى صبرى فى مقاله فيقول:

فى لقاء «الشاذلى» مع الوزير إسماعيل فهمى بالقاهرة كذّب «الشاذلى» كل هذه الادعاءات ووصفها بأنها ملهاة تافهة وساذجة ومليئة بعبث مسئولية الكلمة، وأكد على حقيقة أنه لما علم بأن الاجتماع (موضوع الخلاف) كان يضم ممثلين لاتجاهات سياسية عديدة (شيوعية وبعثية وغربية وشرقية وسوفييتية وصينية وغيرها) نبه «الشاذلى» الجميع أنه لن يسمح بأى كلمة بها مساس بأى دولة عربية أو أى زعيم عربى، وأنه اشترط وأكد على الحاضرين أنه سيضطر إلى رفض الإجابة عن أسئلة معينة حفاظا على مسئولية موقعه الدبلوماسى، وأن إجابته عن الثغرة ذكر فيها أنها حدثت نتيجة أخطاء وأنه كان يمكن القضاء عليها فى المراحل الأولى، وأنه بدافع وطنيته وحبه لمصر دعا الدول العربية

بتحمل أعباء الحرب مع مصر ومساندتها، وأكد على ولائه للقيادة السياسية في مصر وأنه جندى في معركة بلاده أيا كان موقعه، وأن ما حدث هو مؤامرة واضحة للعيان ضده وضد وطنه مصر تهدف إلى تشويه الانتصار المصرى وإفساد علاقته بالسلطات المصرية التى يعمل تحت لوائها ووصفهم بالحاقدين. وأكد «الشاذلى» أن بعض الحاقدين قد يتصورون بفعلتهم هذه وبتحريفهم لكلماته أنهم سينجحون فى تجريح ولائه لمصر ووطنيته بعدما نسبوا إليه كلاما لم يصرح به، كما أكد «الشاذلى» فى اجتماعه (موضوع الخلاف) تعمد إسرائيل المراوغة لكسب الوقت الذى يتيح لها تضميد جراح معارك أكتوبر لتستعد لشن حرب مفاجئة ضد العرب للثأر من هزيمتها فى حرب أكتوبر.

وهكذا نجح السفير «الشاذلى» فى إقناع وزير الخارجية بوجهة نظره وانتهت الأزمة بعد التوضيح الذى قدمه فى القاهرة وعاد «الشاذلى» إلى عمله فى لندن.

إشتعال الخلاف بين الشاذلى والسادات:

تتابعت المتاعب على حياة السفير «الشاذلى» فى لندن، ويحكى «الشاذلى» عنها فى حلقة من مذكراته فى (جريدة الأحرار) ذكر فيها أن الرئيس السادات أجرى حديثا مع سليم اللوزى رئيس مجلة الحوادث وألقى فيه الرئيس بمسئولية الثغرة كاملة على الفريق «الشاذلى» وأرجعها لمخالفة «الشاذلى» توجيهاته، كما ذكر إن الفريق «الشاذلى»

عاد من الجبهة أثناء حرب أكتوبر منهارا فاضطر السادات إلى السعى لوقف إطلاق النار إنقاذا للموقف.

أزعجت «الشاذلى» هذه التصريحات حتى إنه وصفها بادعاءات باطلة وأنكرها وأسرع ليعلن في حفل دعا إليه العديد من السفراء في بريطانيا إنكاره لاتهام السادات له بالانهيار، وأعلن أنه لو كان السادات اهتم برأى «الشاذلى» لقضى على الثغرة فى زمن قياسى وتجنب خسائر كبيرة تكبدتها القوات المسلحة، ولم يكتفِ «الشاذلى» بذلك بل ذكر أن خلافه مع السادات حول الثغرة كان بسبب أن السادات يفتقد الخبرة القتالية فى ميدان القتال، فقد قضى سنوات كثيرة من حياته العسكرية بين السجون السياسية قبل أن يصل إلى قمة السلطة السياسية فى مصر، وأن السادات لم يشارك فى أى حرب ولا يعرف أجواءها وأهوالها التى يعرفها «الشاذلى» جيدا وتدرب على مواجهتها مرات ومرات، فلم يصب «الشاذلى» ولا مرة فى أشرس المعارك وخلال تاريخه العسكرى الطويل (ربع قرن) بما أسماه السادات الانهيار، وفى نهاية اللقاء أكد «الشاذلى» أن السادات هو الذى انهار نفسيا وليس «الشاذلى».

للمرة الثانية وزير الخارجية يستدعى الشاذلى فى القاهرة!

وعلى ضوء هذه التصريحات استدعى وزير الخارجيه «الشاذلى» إلى القاهرة وطالبه بتكذيب كلامه ولكن «الشاذلى» رفض، فما كان أمام

الســادات لمعاقبة «الشــاذلى» علــى تصريحاته إلا أن أصــدر قرارا بنقل «الشــاذلى» إلى البرتغــال عقابا له على تصريحاته بعــد عام واحد قضاه سفيرا لمصر بلندن.

وكتبــت جريدة الأهــرام فــى ١/ ٨/ ١٩٧٥م خبر اســتقبال ملكة إنجلترا السفير «سعد الشاذلى» بمناسبة انتهاء مهمته الدبلوماسية فى لندن، لينتقل بعدها ســفيرا لمصر فى البرتغال ويتولى عمله الدبلوماسى الجديد هناك مع بداية سبتمبر ١٩٧٥م.

فهل انتقال «الشاذلى»من لندن إلى البرتغال وضع نهاية لمتاعبه؟



أنشطة جديدة للشاذلى فى البرتغال

فقد «الشاذلى» بنقله إلى البرتغال فى سبتمبر ١٩٧٥م الكثير من الامتيازات التى كان يتمتع بها فى لندن كواحدة من كبرى العواصم الأوروبية، ولكنه لم يسمح لأى مشاكل أن تنال من حماسه وتقلل من عزيمته فى أداء مهامه الدبلوماسية فى البرتغال. فقد كان «الشاذلى» محبا للحياة مهما كانت تقلباتها. شغوفا بعمله أيا كان موقعه، فمهما تغيرت ظروفه لم يؤثر أى تغيير فى شخصيته. فظل يواصل عمله بنفس الحماس ويدين بولائه الصادق لوطنه مصر، وكأن إحساسه بالظلم كان يزيده عنادا وإصرارا على النجاح، فانطلق بنشاطاته فى البرتغال التى لفتت إليه الأنظار وزادت من شهرته هناك. بدأها بتعلم اللغة البرتغالية لغة البلد التى يعمل بها.

وحول ذكرياته فى البرتغال أجرت زوجته حوارا قصيرا نُشر فى جريدة الشعب فى ٥ مارس ١٩٩٢م بعد عودتها من الجزائر للقاهرة تحدثت فيه عن ذكرياتها مع «الشاذلى» فى البرتغال فقالت:

«فورانتقالنا إلى البرتغال فى سبتمبر ١٩٧٥م بدأ السفير «الشاذلى» بإنشاء مركز لتعليم اللغة العربية فى محاولة جادة لنشرها بين شعب البرتغال، وجعل من بيته أول مكان يُرفع منه أذان الصلاة منذ أن ترك

المسلمون البرتغال فى العصور القديمة، بعد أن حول الدور الأرضى من منزله إلى جامع يقصده مسلمو البرتغال للصلاة، وكان حارس المنزل يقوم برفع الأذان للصلاة، ثم حل محله السائق التركى للسفير الذى لم يكن يعرف من العربية سوى كلمات الأذان والإقامة، ومع مرور الأيام أصبح بيت «الشاذلى» مكانا يقصده المسلمون للاحتفال هناك بأعيادهم فكانوا يقضون مع أسرهم احتفالات العيد فى بيت السفير «الشاذلى»! وأول هذه الاحتفالات كانت حدثا كبيرا تحدثت عنه الصحف وحضره الصحفيون والمصورون.

لازال الحديث لزوجة «الشاذلى»:

وشجع ذلك السفير «الشاذلى» أن يطلب من الحكومة البرتغالية التصريح ببناء مسجد للمسلمين هناك، وصدرالتصريح بالفعل وتم جمع التبرعات لبنائه ووضع «الشاذلى» حجر الأساس وأقيم المسجد على مساحة كبيرة، وأرسل «الشاذلى» إلى مصر فى طلب داعية من الأزهر، وتم استئجار شقة للشيخ الداعية كانت إحدى غرفها مدرسة لأبناء الجاليات الإسلامية ليتعلموا فيها الإسلام، إلى جانب أنشطة ثقافية أخرى وضع بها «الشاذلى» بصماته فى البرتغال خلال ثلاث سنوات متتالية قضاها هناك من ١٩٧٥م حتى ١٩٧٨م لتُزيد إنجازاته الخيرية والإنسانية فى البرتغال من شهرته هناك. {إلى هنا انتهى حوار زوجة الشاذلى جريدة الشعب}

السادات يعاود مهاجمة الشاذلى من جديد

فــى إبريل ١٩٧٨م صدر للرئيس الســادات الطبعة الأولى من كتابه «البحث عن الذات» الذى سـجل فيه للتاريخ مسـئولية «الشــاذلى» عن الثغــرة وذلك فى الفقرة الثانية من صفحـــة ٢٧٣ من الكتاب والتى جاء فيها:

إنه فى يوم ١٦ أكتوبر أرسل الرئيس السادات رئيس الأركان الفريق «سعد الشــاذلى» للتعامل مع الثغرة ورأى الســادات أنه كان من السهل جــدا التعامل مع الثغرة فــى ذلك اليوم ولو أن «الشــاذلى» نفذ ما طلبه الســادات منه والفريق أحمد إسماعيل فى التوقيت الذى حدده السادات له لأصبح من الســهل القضاء على الثغرة، ورأى الســادات إنه كان فى إمكان «الشاذلى» أن ينتهى من العملية كلها بعد وصوله بساعات، فاتهم «الشــاذلى» بإضاعة الليلة بأكملها فى جمع المعلومات وإنشــاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه الفريق أحمد إسماعيل.

وأضاف السادات فى نفس الصفحة من كتابه:

إن قــوات الصاعقة كانت قــد تقدمت إلى الدفرســوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول واعترف الإســرائيليون بشراســة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة.... ولكن «الشــاذلى» أعطاهم الأمر بالانســحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة.

وكان «الشــاذلى» يرى ضرورة ســحب بعض قواتنا من شــرق القناة للمعاونة فى القضاء على الثغرة لأن الغرب مهدد... بينما رأى السادات

أن هذا ما كان يريده الإسـرائيليون... فذهب الرئيس فى منتصف ليلة ١٩ / ٢٠ أكتوبر إلى القيادة حتى يتخذ قرارا مهما بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة وأن السادات جمع القادة فى هذه الليلة وكانوا جميعا من رأى السـادات بعدم سحب قوات من الشرق، فأعطى السادات الأمر بأن لا ينسـحب جندى واحد ولابندقية واحدة ولا أى شىء من شرق القناة وأن التعامل مع الغرب يتم حسـب الأوضاع الموجودة ورفض السـادات بذلك خطة الشـاذلى لمواجهـة الثغرة. إلى هنا انتهت فقرة أسـباب عزل السادات للشاذلى التى وردت فى كتاب (البحث عن الذات)وكانت سببا فى اشتعال الخلاف بين «الشاذلى» والسادات.

ومما زاد من غضب «الشـاذلى» أن السـادات ذكر فـى كتابه نفس تصريحه من قبل أن الشاذلى عاد منهارا فى ١٩ أكتوبر، فاضطر السادات أن يعطى تعليماته فى هذه الليلة بعزل «الشاذلى» من رئاسة الأركان.

ذلـك لأن «الشـاذلى» رأى أن تصريحات السـادات فى كتابه حملت الكثـير من المغالطات ووصفها بأنها تصريحـات ظالمة وكاذبة لأن فيها إدانـات وتلميحـات بتقصير «الشـاذلى» فى واجبه العسـكرى فى أيام الثغرة ومخالفته لتعليمات الرئيس، وكان رأيه أن هذا لم يحدث.

وفى ١٩ يونيه ١٩٧٨م قام «الشـاذلى» بالرد على ادعاءات السـادات فـى مؤتمـر صحفى كبير فى سـفارة مصـر بالبرتغال ضـم العديد من الشخصيات الدبلوماسـية الهامة دافع فيه «الشاذلى» عما أسماه سمعته

العسكرية وأنكر وبإصرار ما ورد فى كتاب السادات من انهياره. وذكر أن السادات هو الذى انهار مرتين فى أيام الثغرة ووصف زيارة السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧م بأنها خطأ سياسى من السادات، ورأى أن الخطأ الثانى الذى ارتكبه السادات هو إقباله على كتابة مذكراته وهو لايزال فى السلطة ووصفها «الشاذلى» بأنها أول حالة لرئيس دولة فى العالم يكتب مذكراته وهو فى السلطة .

وحول حقيقة انهيار «الشاذلى» جاء فى شهادة محايدة للمشير الجمسى سجلها للتاريخ فى صفحة ١١٦ من كتاب محمود فوزى (أسرار الصدام بين السادات والشاذلى) : أن «الشاذلى» عندما عاد من الجبهة فى ٢٠ أكتوبر لم يكن منهارا كما وصفه الرئيس السادات فى مذكراته بعد الحرب.

إحالة الشاذلى إلى محكمة القيم!

وظل إحساس «الشاذلى» بالظلم يشعل فى صدره غضبا لا يهدأ دفعه بالإخلال بواجبات وظيفته الدبلوماسية، فبحلول شهر يونيه ١٩٧٨م بدأ «الشاذلى» بالتهجم على النظام فى مصر ولم يلتفت إلى أن عمله جزء من منظومة الدولة التابع لها (مصر)، وسجل مبرراته وأسبابه فى خطاب ووزعه على وكالات الأنباء فى البرتغال، وكان لهذا العمل رد فعل أغضب السلطات فى مصر فأصدر وزير الخارجية وقتها محمد

إبراهيم كامل فى ٢٠ / ٦ / ١٩٧٨م قرارا بوقف السفير «الشاذلى» عن العمل سفيرا لمصر فى لشبونة بالبرتغال لإخلاله بواجبات وظيفته واستدعائه للعودة والمثول أمام مجلس تأديب وفقا لقانون السلك الدبلوماسى والقنصلى. (خبربالأهرام بتاريخ٢٠ / ٦ / ١٩٧٨).

فى الوقت الذى قابل فيه السادات مهاجمة «الشاذلى» وتحديه له بقرار إحالة «الشاذلى» إلى المدعى الاشتراكى الذى قرر بدوره إحالة «الشاذلى» إلى محكمة القيم، والتى قضت وقتها بحرمانه من الحقوق المدنية لمدة خمس سنوات.

وبرغم ذلك،لم تنل هذه الأحكام من إصرار «الشاذلى» على استمراره فى الدفاع عن نفسه ضد تصريحات السادات لأنه كان يرى أن هذه الأحكام ظالمة وإحساسه بالظلم كان أكبر من أى عقاب، وعندما تمت اتفاقية كامب ديفيد فى نفس العام ١٩٧٨م انتهزها «الشاذلى» فرصة ليوجه لبنودها انتقادات حادة وأكد أنها لصالح إسرائيل وضد مصلحة مصر، وحذر من آثارها السلبية مستقبلا فى مصر.

هذه المرة دفع «الشاذلى» ثمنا باهظا لتهجمه على النظام فى مصر وخروجه على العرف الدبلوماسى وذلك بفصله من منصبه سفيرا لمصر بالبرتغال لتنتهى بذلك مهمته الدبلوماسية فى البرتغال.

وأصبح على «الشاذلى» إما أن يعود إلى وطنه مصر لينال عقابه، أو أن يختار أن يعيش فى بلد آخر، ولما خشى العودة إلى مصر تحسبا لانتقام

الســادات، فــأراد أن يتجنب تلك المخاوف باختيــاره الجزائر ليعيش فيها، إذ كانت الجزائر فى ذاك الوقت بلدا ديمقراطيا تحكمها جماعات (مجلس قيادة الثورة)، إلى جانب أن الجزائر كانت من الدول المعارضة لاتفاقيــة كامب ديفيــد، وكانت من الدول المقاطعــة لمصر آنذاك، وجاء اختياره هذا تجنبا لوقوعه تحت ســيطرة الحاكــم فى أى دولة عربية أخرى خاصة بعد رفضه لطلب الرئيس صدام حســين في استضافته فى العــراق. عاش «الشــاذلى» بها ١٤ عاما منذ مغادرتــه البرتغال ١٩٧٨م حتى عودته لمصر ١٩٩٢م. فهل انتهت متاعبه بانتقاله للجزائر؟

❑❑❑

الجزائر تستقبل الشاذلى بحفاوة بالغة

انتقل «الشـــاذلى» ليعيش فـــى الجزائر ضيفا سياســـيا يقيم على نفقته الخاصة ولم يكن لاجئا سياسيا، وهناك وجد الحياة الآمنة التى كان يبحث عنها فقد رحبت الســـلطات باستقباله وامتدت إقامته فيها ١٤ عاما مـــن ١٩٧٨م حتى عودته لمصر فى ١٩٩٢م، وحظى «الشـــاذلى» هناك بإقامة فاخرة وحفاوة بالغة تكريما لمكانته العســـكرية فى الوطن العربـــى كقائد أول حرب عربية منتصرة فـــى تاريخ العرب الحديث، وهناك وجد الفرصة لانطلاق نشـــاطاته الكثيرة والتى تحدى بها غربته وقاوم بها وحشة البعاد عن وطنه، فاقتنى فى منزله مكتبة هائلة ضمت أكثر من ٥٠٠ كتاب تحمل عناوين هامة سياســـية وعســـكرية وإنسانية تعكس شـــغفه بالثقافة والمعرفة، وكان «الشـــاذلى» يُدعى إلى المؤتمرات والندوات متحدثا ليُلقى فيها محاضراته.

وأصدر هنـــاك جريـــدة «الجبهـــة» ليكتـــب مقالاته الشـــهيرة على صفحاتهـــا واتخذ منها متنفســـا يكتب فيها عن ظلم الســـلطات المصرية له ويدافع عن نفســـه ويعارض على صفحاتها بنود اتفاقية كامب ديفيد التى أبرمها الســـادات مع إسرائيل وجعلت من ســـيناء منطقة منزوعة السلاح، واستمر نشاطه فيما أسماه (الجبهة الوطنية المصرية بالخارج)

والتى ضمت ٥١ شــخصية مصرية كانت من بينهــا د. حكمت أبو زيد الوزيــرة الســابقة، وعبد المجيد فريد الوزير الســابق، ومحمود أمين العــالم الكاتــب وغيرهم، لإعلان معارضتهم سياســة الحكم فى مصر، ونتيجة ذلك أعلن المدعى العام الاشــتراكى فى مصر إحالة «الشاذلى» و٨ آخرين إلى محكمة القيم وإبلاغ نيابة أمن الدولة لمحاكمتهم جنائيا.

كما نشــرت جريدة الأحرار فى ١ / ١٠ / ١٩٨١م أن «الشاذلى» اتهم الرئيس الســادات بالخيانــة والعمالة.. وأذاع ذلك فــى إذاعات العالم ونشــره فى المجــلات الأجنبيــة ودول الرفض العربيــة، ولم يكتفِ «الشاذلى» بذلك ليطفئ غضبه وشعوره بالظلم الحبيس بصدره، بل أرسل خطابا إلى النائب العام المصرى من قبل فى ١٩٧٩م يطلب منه أن يحاكم الرئيس الســادات وأرفق بخطابــه صحيفة اتهام الرئيــس وذكر فيها للنائب العام أن شــرط حضوره لمصر هــو أن تتم محاكمته علانية تجنبا لانتقام الســادات منه، فبدون المحاكمة قد يسجنه السادات أو يقتله.

(المذكرة وردت فى مذكرات الشاذلى وهذه كانت تصورات الشاذلى)

حرمان الشاذلى من حقوقه السياسية وفرض الحراسة على أمواله

وفــى ١٥ / ١١ / ١٩٨١م قضــت محكمــة القيم بحرمان «الشــاذلى» وآخريــن من أعضاء (الجبهة الوطنية المصرية) من حقوقهم السياســية وفرض الحراســة على أمواله وممتلكاته، وجــاء فى قرار المحكمة أن

قانون حماية القيم من العيب رتب المساءلة السياسية حيال كل ما نشر أو أذيع من شأنه الإضرار بمصلحة البلاد القومية. وحيث إن المتهمين لم يحضروا فقضت المحكمة بحكمها غير القابل للمعارضة.

الشاذلى يرد على اتهامات السادات بمذكراته عن حرب أكتوبر

وزادت هذه الأحكام من إحساس «الشاذلى» بالظلم من الأحكام التى تتوالى ضده بينما السادات ينعم بمدح كتابه (البحث عن الذات) الذى احتوى فى رأى «الشاذلى» على كثير من المغالطات، وكان من الصعب حسب شخصية «الشاذلى» العنيد فى الحق أن يستسلم لشعوره بالظلم، وما كان يرضيه ويضمد جراحه وينصفه أمام التاريخ إلا إتمامه لكتابة مذكراته عن حرب أكتوبر والتى كان قد بدأها فى البرتغال، ليدافع فيها باستفاضة عن سمعته العسكرية ويرد فيها بالوقائع المؤرخة والتفاصيل العسكرية الدقيقة على ما رأى أنها ادعاءات باطلة من السادات، ويكشف من وجهة نظره الحقائق بالدلائل والأرقام والحسابات والتواريخ الدقيقة على الأحكام التى صدرت ضده فى مصر والتى وصفها بالظالمة.

ولم يتصور «الشاذلى» بعد انتهائه من تأليف مذكراته عن حرب أكتوبر فى كتاب أن نشر الكتاب سيلاقى صعوبات بالغة فى الدول الأجنبية، فبالقطع ما كان يمكن لهذا الكتاب وما يحمله من هجوم ضد

الســادات أن يصدر فى مصر، ولكن ابنته (شهدان الشاذلى) التى كانت تعيش وقتهــا مع زوجها فى أمريكا ذللت له الصعاب، وقامت بنشــر مذكرات والدها عن حرب أكتوبر بعدما رفض ناشرون فى الخارج نشر هــذه المذكرات، واضطرت إلى طبع الكتاب علــى نفقتها الخاصة لتكون لها اليد الطولى فى إظهار براءة والدها للتاريخ. وهنا يلفت نظرى نتاج إعداد «الشاذلى» الأب ابنته شهدان منذ الصغر فى شجاعتها ومثابرتها الدءوبة فى رحلتها الشــاقة لصدور كتــاب والدها برغم ما واجهته من صعوبات النشر ليحصد «الشاذلى» فى مساندتها حصاد تنشئته لها.

وبعــد طول جهد صــدر الكتاب (مذكرات حــرب أكتوبر) واعتبر «الشاذلى» هذه المذكرات تاريخية وفريدة لأنها السيرة الذاتية الوحيدة لقائــد عربى معاصر، كتبها آســفا وغاضبا ومُكرهــا بعد أن قضى عمره كله جنديا فــى خدمة بلاده، وأهداها إلى جنود وضباط مصر البواســل وعبر فيهــا عــن فخره بكل يوم أمضاه بينهم رئيســا للأركان والذى تم خلاله التخطيط والتنفيذ لأول هجوم عربى ناجح ضد إســرائيل، وأشار إلى أن أجــزاء القصــة معروفــة لآلاف الأفراد وبعضهــا يعرفها المئات وأجزاء أخرى لايعرفها إلا أفراد يُعدون على الأصابع.

واختتم «الشــاذلى» مذكراته عن حرب أكتوبر بالإشارة إلى الخطاب الــذى وجهه إلى النائــب العام المصرى وطالب فيه بمحاكمة الســادات واتهمه بالإهمال الجسيم أثناء إدارة الثغرة، وتزييف التاريخ والكذب

وإساءة اســتخدام السلطة ضد «الشــاذلى». واختتم الشاذلى طلبه بقوله: «والآن وقــد أذيعت الأســرار كلها التى كان يخفيها الســادات، فقد آن الأوان أن نجــرى حوارا فى مصر نناقش فيه أخطاءنا ونحدد المســئول عنها لنعرف من هم أبطال حرب أكتوبر الحقيقيون».

وتم نشــر الكتاب باللغة العربية والإنجليزية والفرنســية فى دول كثيرة إلا مصر، وأغضب ذلك الســلطات السياسية والقضائية فى مصر، وصبت مذكرات «الشــاذلى» من جديد بمزيد من الزيت على نار الخلاف المشتعل بينه وبين السادات فزادتها تأججا واشتعالا.

الحكم غيابيا على الشاذلى بالسجن ثلاث سنوات

وكان من الصعب على السادات من موقعه رئيسا للجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة أن يتقبل ما جاء فى مذكرات «الشاذلى» من هجوم ضده، فجاء الرد من الســادات بمحاكمة «الشاذلى» وصدر حكم المحكمة العســكرية غيابيا بالسجن ثلاث سنوات «للشاذلى» بتهمة إصدار كتاب عــن حــرب أكتوبر دون اســتصدار إذن كتابــى من الســلطات المصرية العسكرية بالنشر وهى تهمة لم ينكرها «الشاذلى».

وأما التهمة الثانية وهى إفشاء أسرار عسكرية فى كتابه فقد رفضها «الشاذلى» بدعوى أن تلك الأسرار المزعومة كانت أسرار حكومية وليست أســرارا عســكرية، ورأى أن الفرق كبير بين الاثنين، وبرغم ذلك صدر

الحكم غيابيا بسجن الشاذلى ثلاث سنوات! وحرمانه من التمثيل القانونى وتجريده من حقوقه السياسية ووضع أملاكه تحت الحراسة .

لكن «الشاذلى» لم يعترف بالمحاكمة لأنها أجريت غيابيا ، ولم يُخطر بها وعلم بها من الصحف، ودفعه ذلك أن يستمر فى معركته ضد السلطة فى مصر مدافعا عن تاريخه العسكرى من خلال لقاءاته ومؤتمراته التى كان يشارك فيها ويجيب عن أسئلة الصحفيين حول مشكلته مع النظام فى مصر، واتهم السلطة المصرية بالديكتاتورية لأنها لم تتح له فرصة الدفاع عن نفسه، وأكد على براءته فى حالة محاكمته حضوريا.

وبدأ «الشاذلى» يواجه حربا إعلامية من إعلام وطنه مصر. عندما شنت الأقلام الصحفية التابعة للنظام فى مصر هجوما شرسا ضد الفريق «الشاذلى» واتهمته بمبالغته فى إحساسه بالظلم وكيلت له التهم الباطلة منها اتهامه بأطماعه بالسلطة فى مصر وبالخيانة لوطنه (روزاليوسف فى ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٥م بعنوان الشاذلى معارض من أجل «كعكة السلطة») وصبت عليه أقبح السباب واللعنات تحت عنوان «الشاذلى فى زبالة التاريخ» (الأخبار فى ١٣ / ١٠ / ١٩٨١م بقلم وجيه أبو ذكرى).

(وفى الأخبار ٢١ / ١٠ / ١٩٨١م كتب موسى صبرى - الذى دافع عن الشاذلى من قبل - كتب بعد صدور الحكم بالسجن ضد الشاذلى يهاجم الشاذلى بشراسة ويصف كلماته بالسوقة والسفالة وانحطاط

الخلـق، واتهمه ظلما بإرسـال متفجرات لترتيـب أعمال إرهابية ضد مصـر، واتهمه بشـماتته في قتل السـادات، وطالب فـي نهاية مقاله بلعنة السـماء على الشاذلى الذى باع وانحنى حتى لامست جبهته عفن المستنقع).

وطالبت إصدارات أخرى بمقاطعة «الشـاذلى» ووصفته بأبشع صفات لاتليـق ببطل فى الجيش المصرى يحمل رتبة فريق، وكان يوما رئيسـا لأركان الجيش المصرى والذى حقق تحت رئاسـته لأركان الجيش أكبر انتصار عسـكرى لمصر والعـرب في حرب أكتوبـر ١٩٧٣م! وذلك في الوقت الذى كان فيه «الشـاذلى» يتلقى دعوات من ملوك ورؤسـاء عرب منهم صدام حسـين الذى كرر دعوته للشـاذلى يدعوه للعمل فى العراق تكريما لمكانته العسـكرية فى الوطن العربى، لكن «الشـاذلى» رفض كل العروض ولم يتراجع عن الدفاع عن نفسه لإثبات براءته.

ولكن كيف كان تأثير هذه الحرب النفسية ضد «الشاذلى» فى حياته فى الجزائر التى قضى فيها قرابة ١٤ عاما؟



الشاذلى ينطلق بنشاطاته فى الجزائر

كعادة «الشــاذلى» بعناده ضــد ألم الظلم لم يترك لهمومــه الثقيلة أن تنــال منه بل ســارت معركتــه مع النظام فــى مصر مع ممارسته لاهتماماته الثقافية والسياسية وحياته الاجتماعية فى خطين متوازيــين لا يؤثر أحدهما على الآخر، يحرســه فــى ذلك إيمانه بالله وبأنــه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يضروه بشــىء فلن يضروه إلا بما كتبه الله عليه.

وأصبحت قضية «الشاذلى» وصراعه مع السادات قضية رأى عام صالت فيها الأقلام الصحفية وجالت، ولم يكن أحد يعلم بالتحديد فى أى دولة كان يعيش «الشــاذلى» بعد صدور الحكم ضده بالســجن ثلاث سنوات، وتضاربت الآراء ثــم أجمعت على أنه يعيش فى ليبيا، ولكن الصحفية سوسن أبو حســين بمجلة أكتوبر عرفت بالصدفة من مسئول فلسطينى كانــت تجرى معه حــوارا بأمر إقامة «الشــاذلى» بالجزائر فقررت فى جــرأة صحفية أن تقــوم بزيارته فى منفاه المختــار بالجزائر، لتعرف منــه حقيقة صراعه مع الســادات والتى جمعتها فيمــا بعد فى كتابها (قصتى مــع النظام) وكانت زيارتها «للشــاذلى» تجربة صحفية خاصة قالت عنها:

(عندما سافرت إلى الفريق «الشاذلى» فى الجزائر عام ١٩٨٢م أتيحت لى فرصة التعرف إلى جوانب إنسانية أخرى فى شخصية الفريق «الشاذلى»، وبينما كنت أسجل آراءه بالورقة والقلم كان الفريق «الشاذلى» يطلب منى أن أكتب على مسطرة وبمسافات متساوية وبالقلم الرصاص والمحاة الجلد، وأن أحافظ على الهوامش وألا أقوم بالشطب فى أى فقرة ولكن أمحوها (بالأستيكا) حتى يبدو ما أكتبه مريحا فى الشكل والمضمون، إلى هذا الحد بلغت دقته، وكنت إذا خالفت تعليماته يرفض الحديث معى حتى ألتزم، والأكثر من ذلك أثناء تسجيلى لأحاديثه كان يقوم بتحفيظى لكل المصطلحات العسكرية ويشرح لى التشكيلات ونوعية الأسلحة وتعريفى بالفرقة والكتيبة والأرقام العسكرية، وعلمنى الفروق بين الأسرار العسكرية والمعلومات الحكومية، حتى إذا تحدثت فيما بعد عن حرب أكتوبر وأنا مدنية اتسم حديثى بالدقة مثل رجال القوات المسلحة وقد عانيت من صعوبة ذلك كثيرا، ولكنى التزمت واكتسبت بذلك العقيدة القتالية وصولا للحقيقة، ويرجع الفضل فى ذلك للفريق «الشاذلى» وكل ذلك أثرى تجربتى الخاصة معه فى الجزائر.كان الفريق «الشاذلى» مهتما بشغف شديد بأحوال العالم العربى مهموما بقضاياه وتمنى أن يكون العالم العربى كتلة واحدة، لكنه رأى أن حكام العرب هم السبب فى الفرقة بين الدول العربية، وأنه لن تتحقق تلك الوحدة التى نحلم بها إلا إذا تغيرت الأنظمة العربية، وبالفعل صدقت توقعاته

مع ربيع الثورات العربية في ٢٠١١م كان «الشـــاذلي» حريصا أن يشترك في إصدارات عســكرية أجنبية، يواظب على الاطلاع على ما ينشر فيها بانتظـــام للتعرف على الجديد في المجالات العســكرية، وكان يرى أن الانفتاح الإعلامي الذي أصبح عليه العالم أنهى فكرة الأسرار العسكرية وأصبحنــا نطلع بســهولة على ما يجرى في أى دولـــة في العالم وأنواع الأسلحة التى تســتخدمها، وكان الفريق «الشاذلي» يعشق الكتابة وكان بارعا فيها وصدرت له مؤلفات.

وتستكمل سوسن أبو حسين حديثها فتقول:

على الرغم من الحياة المترفة التى وفرتها له السلطات في الجزائر فــإن الفريــق «الشــاذلي» كان يعيش حياة بســيطة جدا يتنـــاول فيها المأكولات الشــعبية البسيطة (الكشرى، الفول المدمس وغيرها) ،وكان يتناول كوبا واحدا من الشـــاى أو الشاى بالحليب طوال اليوم، ولم يكن يدخن على الإطلاق، كان يســتمتع بكل شيء دون إسراف وكان يمارس رياضته اليومية بانتظام المشـــي والســباحة. وكان يهـــوى أن يؤدى كل شـــيء بنفســـه دون مساعدة أحد، فلم يســتعن يوما بسائق خاص كلفته الســلطات بخدمته، بل كان يقود سيارته المرسيدس بنفسه ويتنقل بها بين العواصم التى عمل بها.

وقـــد اصطحـــب «الشـــاذلي» زوجتـــه الســيدة زينـــات الســحيمي للإقامة معه،والتى كانت سرا من أســرار نجاحه، فكانت

تحترم أسرار عمله العسكرى ولا تسأله قط عنها، وكانت توفر له المناخ الذى يحتاجه عملا بنصيحة والدها الضابط متولى باشا السحيمى الذى كان مديرا للكلية الحربية وقت زواجها من «الشاذلى»، فعرفت أن الله تعالى لم يهب «الشاذلى» عبقريته العسكرية والإنسانية وحسب، ولكن وهبه أيضا الزوجة العظيمة التى نشأت فى بيت عسكرى لتنتقل بخبرتها الإنسانية زوجة فى بيت الشاذلى، فحفظت أسراره وأعانته على ما لاقاه فى حياته من أزمات. (إلى هنا انتهى حديث سوسن أبو حسين عن تجربتها الصحفية مع «الشاذلى» فى الجزائر)

جوائز وشهادات من الجد «الشاذلى» لأحفاده

وكانت السلطات الجزائرية قد خصصت للفريق «الشاذلى» احتفاء بإقامته على أرضها فيلا فاخرة حولها حدائق واسعة وملاعب وحمام للسباحة وسيارة خاصة وحرس خاص لحمايته، مزايا عظيمة ربما لاتتوفر إلا لرئيس دولة، واعتادت أسرة «الشاذلى» بناته الثلاثة (شهدان وسامية وناهد الشاذلى) وأحفاده أن يقوموا بزيارته فى الجزائر بالتناوب لقضاء إجازتهم معه وذلك خلال ١٤ عاما قضاها هناك، وكعادة الفريق «الشاذلى» كان يخطط ويرتب لكل شيء بدقة بالغة، ولأنه كانت تغلب عليه طبيعته العسكرية فى دقته وفكره المنظم فكان يضع خطة لقضاء إجازة أحفاده معه فى الجزائر ويحكى عن ذكرياته مع الجد «الشاذلى» فى الجزائر حفيده رجل الأعمال كريم أكرم فيقول:

كنا نشـعر بالتميز بمجـرد وصولنا إلى مطار الجزائـر، فقد كنت وإخوتى وأبناء خالتى فى ١٩٨٥م وقت الزيارة أطفالا فى سـن العاشرة والثانية عشرة، ووقتها جاء لاسـتقبالنا بالمطار حرس خاص لتوصيلنا الى البيـت الفاخر الـذى كان يعيش فيه جدى الفريق «الشـاذلى» حياة مترفة مثل حياة الرؤسـاء، وبرغـم ذلك كان جدى يخبرنا منذ اللحظة الأولى لوصولنا أننا سـنعيش معه حياة بسـيطة عادية، وأننا سـنقضى إجازتنا فى معسـكر تدريبى وليس ترفيهى كما كنا نتوقع، كان جدى ينتهـز فرصة زيارتنا له لتعليمنا وتدريبنا على مهارات عدة، فيطلعنا على جدول المهام والأعمال والتكليفات التى أعدها لنا والتى سنقوم بها طـوال مدة إقامتنا، وكان يضع لتنفيذها جدولا زمنيا يوميا دقيقا، فمنا من كان يتولى تنظيف حمام السـباحة، وآخر يتولى العناية بمزروعات الحديقة، وآخر مهمته الاهتمـام بالملاعب، والمهام بالتناوب والتبادل كل حسـب طاقته وعمره وقدراته وذلك برغم وجود خدم يمكنهم القيام بهذه المهام أسـرع وأفضل منا، لكن جـدى كان يهوى تعليمنا الاعتماد على النفس فى كل شـىء من خلال هـذه المهام، وكان يعلمنا النظام فى كل شيء حتى فى تناول المشـروبات والأطعمة؛ فكان يحدد لكل واحد منا مشـروبين فى اليوم ويترك لنا حريـة اختيار وقت تناولهما. وكان يحـرص على تسـجيل ذكرياتنا معه فى صور تذكاريـة كان يقاوم بها مشاعر الغربة وتذكره بنا فى أيام البعاد.

ولازال الحديث للحفيد كريم أكرم:

وكان جدى يجرى بيننا المسابقات فى السباحة والتنس والرماية باستخدام بنادق الرش، وأطلق على هذه الألعاب تسمية (الألعاب الأولمبية) لتعدد ألعابها، أما الشطرنج فكان الجد «الشاذلى» يجمع لنا قصاصات الجرائد التى نشرت عن بطولة العالم فى الشطرنج وكانت قرابة ٣٠ قصاصة ويطلب منا قراءتها قراءة جيدة لنتعرف على تحركات القطع الفائزة قبل بدء اللعب وكان يشترك معنا فى هذه اللعبة، وكنا نخرج معه إلى الشاطئ ليعلمنا أهمية المد والجزر فى البحر وكيفية الاستفادة منه، وفى نهاية الإجازة قبل عودتنا إلى مصر كان يقيم لنا احتفالا صغيرا عند حمام السباحة يوزع فيه الجوائز وشهادات التقدير الموقعة باسمه وبها درجات التفوق كل حسب اجتهاده، لنحتفظ بها تذكارات لذكريات رائعة قضيناها معه أحفادا محظوظين مع «الشاذلى» الجد الرائع. (انتهت رواية كريم أكرم)

هكذا كان الفريق «الشاذلى» يتعامل فى حياته بكل جرأة وإصرار ونظام بالغ الدقة أينما كان، وهو يتطلع فى أيامه القادمة إلى يوم يعود فيه إلى وطنه وأرض انتصاراته فهل ستحقق له الأيام القادمة أمنيته؟



القبض على «الشاذلى» وسجنه بدون محاكمة!

خلال ١٤ عاما قضاها الفريق الشاذلى فى غربته من نهاية ١٩٧٨م حتى مارس ١٩٩٢م تغير الكثير فى مصر، رحل فيها الرئيس السادات وتولى الحكم بعده الرئيس حسنى مبارك لسنوات تقادمت خلالها الأحكام الصادرة ضد الفريق «الشاذلى» وأصبح المناخ السياسى فى مصر يسمح بعودة الفريق «الشاذلى» إلى مصر، إذ كان «الشاذلى» قد أصابه ملل الغربة فقرر العودة إلى مصر مهما كانت النتائج، وساعده على قرار العودة مسئول كبير فى الدولة وعده وقتها بأن لن يناله أذى عند عودته إلى وطنه مصر خاصة بعدما تقادمت قضيته وسقط عنه الحكم فيها، وامتدت مدة حكم مبارك وقتها ١٩٩٢م إلى ما يزيد عن عشر سنوات مدة تسمح بتقادم الحكم القديم الذى صدر ضده (٣سنوات سجن) فكان قرار «الشاذلى» أن يعود لوطنه مصر فى ١٤ مارس ١٩٩٢م.

وفى هذا اليوم، كانت أسرته تنتظر وصوله بشوق فى مطار القاهرة، ولكن كانت المفاجأة الصادمة أن فوجئ الفريق «الشاذلى» بالقبض عليه لحظة وصوله إلى أرض المطار! فى استقبال ينبئ بمتاعب كبيرة تنتظره فى مصر، فكانت مفاجأة كبيرة «للشاذلى» لحظة رجوعه أرض الوطن وصادمة أيضا للمسئول الكبير الذى وعده بالأمن فى وطنه!

ولما طال انتظار أسرة «الشاذلى» لخروجه مع ركاب الطائرة ولم يخرج لهم حاولت أسرته الاستعلام عن سر تأخره من مسئولين بالمطار فلم يجبهم أحد، فأدركت أسرته أن شيئا ما قد حدث له، فعادوا إلى منزلهم يبحثون فى الإذاعات الأجنبية عن خبر عن عودة «الشاذلى» إلى مصر حتى عرفوا من إذاعة (مونت كارلو) بوصوله إلى مصر والقبض عليه وقيادته إلى مكان مجهول، فاتصلت زوجته السيدة زينات السحيمى بالدكتور مصطفى الفقى برئاسة الجمهورية وهددت بإضرابها عن الطعام واعتصامها أمام مبنى الرئاسة حتى تعرف ماذا حدث لزوجها ؟ وبعد ساعات جاءها الرد وعرفت أن زوجها الفريق «سعد الشاذلى» قيد التحفظ فى المجموعة ٧٥ مخابرات بعد مصادرة حقائبه بما فيها ملابسه ومقتنياته ومؤلفاته وكتبه وصوره وأوراقه الخاصة ومقالاته و٥٠٠ كتاب محتويات مكتبته الخاصة التى جلبها معه وكانت تحمل عناوين سياسية وعسكرية هامة، وتم سحب الكروت العسكرية للعلاج منه وجواز سفره وأوراق أخرى هامة، وتم الاحتفاظ بملفه فى رئاسة الجمهورية حتى يصعب الاطلاع عليه، وتحولت ذكرياته واجتهاداته وثقافاته ومؤلفاته وكل شىء يخصه فى لحظة فارقة قيد التحفظ ١٩ سنة من حياته قضاها بعيدا عن وطنه فى لندن والبرتغال والجزائر تمت مصادرة أوراقها فى لحظة، وكتبت جريدة الشعب بتاريخ ٢٨ / ٧ / ١٩٩٢م تندد بمصادرة أمتعة الشاذلى ومن

بينها سيارته المرسيدس القديمة وطلبت الجمارك من أسرته وقتها دفع ٩٥ ألف جنيه لاستلام السيارة .

ولم يخطر ببال «الشاذلى» ولا المسئول الذى وعده بالأمان عند عودته لمصر ولا بال أحد أن الرئيس مبارك سيحرك القضية من جديد لما وجد فى رجوعه فرصة مناسبة لتنفيذ الحكم القديم والانتقام من «الشاذلى» فكان القبض على «الشاذلى» وسجنه دون محاكمة بأمر من الرئيس مبارك مفاجأة للجميع وللفريق «الشاذلى» نفسه الذى لم يكن بينه وبين مبارك ما يدعو مبارك للانتقام منه.

وعلى الفور تحرك محامو «الشاذلى» وتحركت معهم المنظمات الدولية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية والرأى العام فى مصر، أسرع الجميع بالدفاع عن «الشاذلى» ورأوا أن يرفعوا التماسا للرئيس بإعادة النظر فى الحكم فالأمل كبير فى براءة «الشاذلى» إذا ما تمت محاكمته محاكمة عسكرية عادلة، ولكن للأسف تم رفض الالتماس، وكذا رفض مساعى محاميه ومساعى كل المنظمات الدولية.

صحفيون مدافعون عن «الشاذلى»

وانقسمت أقلام الصحافة منهم من يدين الشاذلى ومنهم من يبرئه، ووصفته وقتها الأقلام المدافعة (بأكتوبرالسجين) بقلم محمد أبوالفتح، وكتب يوسف سعد (الشاذلى المفترى عليه) وكتب د. محمود السقا

بعنوان (سلام الله ياشاذلى)، ورحب مصطفى أمين فى عموده اليومى «فكرة» بعودة «الشاذلى» وطالب بأن تحتضن مصر أبناءها الأفذاذ العائدين إليها ولا تدوسهم بالأقدام فمصر فى حاجة إليهم، وتبنت جريدة الشعب قضية «الشاذلى» ودافعت عنه فى مقالات عديدة منها مقالة د. محمد حلمى مراد بعنوان (حياة الشاذلى أمانة فى عنق مبارك ٨ / ٩ / ١٩٩٢م)، ومقالة محمد أبو الفتح (لماذا الاستمرار فى سجن الشاذلى) وكتبت جريدة الأهالى (أوقفوا الجرح الدامى بالإفراج عن الشاذلى ٧ / ١٠ / ١٩٩٢م) وغيرها من المقالات. أما الأقلام المعارضة فطالبت بالقصاص من الشاذلى وادعت باطلا أنه اضطر أن يعود لمصر بعد أن رفضت دول عربية وأجنبية لجوءه إليها وذلك فى جريدة المساء ١٥ / ٣ / ١٩٩٢م، بينما طالبت روزاليوسف بمقاطعته.

برغم أن عودة «الشاذلى» لم تكن مفاجأة كما ادعت بعض الأقلام، فقبل عودته بأربعة أيام كان «الشاذلى» فى لندن قد أعلن عن عودته لمصر ورغبته فى إعادة المحاكمة لثقته ببراءته، كما أبلغ سفير مصر فى الجزائر من قبل ذلك بسنوات باستعداده للعوده لمصر (المصور فى ٢٠ / ٣ / ١٩٩٢م). ولكن للأسف فشلت جميع المحاولات والمساعى القانونية والإنسانية والإعلامية لإنقاذ «الشاذلى» من عقوبة السجن التى كانت قد سقطت من قبل بالتقادم، ورفض الرئيس مبارك أن يعفو عن بطل رفع بانتصاراته رأس مصر والأمة العربية، و جعله سجينا فى

وطن بطولاته، وحرمــه التكريم ورفض تعويضه عن بطولته التاريخية في حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

ليقضي «الشــاذلي» ثلاث ســنوات قادمة من حياته داخل مستشفى الســجن الحربي في وطنه مصــر! ليصبح بذلــك أول رئيس أركان في الجيــش يحمل رتبة فريق ويزج به إلى الســجن ظلما وبدون محاكمة، وليصبح «الشــاذلي» بذلك حالة خاصة فــي عقوبته كما كان حالة خاصة في انتصاراته، ولكن ما أثار دهشة «الشاذلي» وقتها في لغز القبض عليه أن خلافه مع الســادات كانت له مبررات، أمــا موقف الرئيس مبارك فلم يكن واضحا «للشــاذلي»، فلم يحــدث أي صدام بينه وبين مبارك من قبل يدفعه إلى ســجنه والانتقام منه على هذا النحو، وطوال مدة خدمة «الشاذلي» بالجيش كانت تربطه بمبارك علاقات طيبة، فلماذا ماحدث؟ ولما لم يجد إجابة مقنعة استســلم «الشــاذلي» لقدره للحكم الصادر ضده بدخول السجن ظلما.

في سجنه: الشاذلي مريضا برغم أنفه

فور دخول «الشاذلي» إلى السجن في المستشفى الحربي ندد د. محمد حلمي مراد في مقاله (حياة الشــاذلي أمانة فــي عنق مبارك) بالإجراء الذي اتخذته الســلطات عند دخول «الشاذلي» المستشفى الحربي ليقضي بها مدة حبســه (ثلاث ســنوات) وكأنهم جعلوا منه مريضا برغم أنفه

وكان الإجــراء هو إخلاء مبني المستشــفى الحربى! ذلــك المبنى المكون من دورين يتســعان لنحو مائة سرير تم إخلاؤه من جميع العاملين فيه والمرضى الموجودين حتى يصبح «الشــاذلى» وحيدا فى هذا المبنى الكبير كنــوع من الترويع له، ومع افــتراض أن هذا الوضع لا يقصد منه إلحاق الضــرر «بالشــاذلى» إلا إنه يُدخل الانزعاج عليه وعلى أســرته، وحذر د. محمد حلمي في مقاله من أنه إذا حدث مكروه «للشــاذلى» من جراء الإخلاء فى مثل هذه الظروف فإنه لا يمكن إلا أن يكون مؤامرة مدبرة، وأن المقصود بهذا الإجراء ترويع الشاذلى وأسرته وأصدقائه ومحبيه وهو عمل يعاقب عليه قانون الإرهاب، ووضع صاحب المقال حياة «الشــاذلى» وسلامته داخل السجن أمانة فى عنق الرئيس مبارك.

وكان اللواء أشــرف راشــد قد تولى وقتها رئاســة إدارة مستشــفى الســجن الحربى وقت تنفيذ عقوبة «الشاذلى» وأصبحت مهمته متابعة تنفيذ «الشــاذلى» للوائح داخل السجن، وهى نفس اللوائح التى وضعها «الشاذلى» من قبل وكان اللواء أشرف راشد واحدا ممن عملوا تحت قيادة «الشــاذلى» من قبل أثناء حرب الاســتنزاف فماذا قال عن إجراء إخلاء المبنى من نزلائه المرضى:

«هذا الإجراء تم بأمر من المشــير حســين طنطاوى تكريما وتمييزا للشــاذلى وليس ترويعا له كما أشيع وقتها، وذلك بعدما رأى المشير أنه لا يليق بالفريق «الشاذلى» أن يقيم مع المخالفين والمجرمين»

ولكن كيف قضى الفريق «الشــاذلى» هــذه الفترة الحرجة من حياته مسجونا؟

واسترســل اللواء أشرف راشد يحكى عن حياة «الشاذلى» فى السجن فيقول:

كان الفريق «الشــاذلى» رجلا قويا وعسكريا ملتزما، استطاع كعادته أن يتكيف مع حياته داخل الســجن باهتماماته الكثيرة، والتزم بلوائح كان قد وضعها بنفسه من قبل، وقت رئاسته لأركان الجيش.

ولم يدخل الشاذلى زنزانة سجن كما تصور كثير من الناس ولا عاش خلف قضبانه، بل إن المشير حسين طنطاوى شخصيا قد أوصانى بالقيام على راحة الفريق «الشاذلى» وأمر بأن يقيم فى جناح كبير فى المستشفى الحربى، لتهيئة إقامة مريحة له طوال فترة ســجنه، فلم يكن الفريق «الشــاذلى» يُعامل كسجين بل كضيف لمدة اســتضافة محددة، وبأمر من المشــير طنطاوى تم تجهيز حجرته بأثاث خشــبى كامــل ومميز وكان بحجرته حمام خاص ومكتب وثلاجــة خاصة وتليفزيون، ولما لاحظنا توافد الكثيرين لزيارته فى ســجنه خصصنا حجرة لاســتقبال ضيوفه لكثرتهــم، فكان كثير من الضباط والجنود والقادة يقومون بزيارته وفاءً لقائــد صنعــوا تحت قيادته النصــر لمصر، وكان من بين زواره حســين الشــافعى وعبدالقادر حــاتم وأحمد حمــروش، وكان بحجرته جرس ليستدعى به الحرس الخاص به لتلبية مطالبه وقتما يشاء.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فيقول:

لم تتغير عادات «الشاذلى» اليومية طوال مدة إقامته بالسجن، فكان مثـالا للالتزام والانضباط، يبدأ يومه كعادته مع الفجر للعبادة (الصلاة وتـلاوة القرآن) ثم يقوم بعمل التمرينـات الرياضية اليومية فى حجرة الرياضـة المواجهـة لحجرته والتـى تم تجهيزها خصيصا له حسـب طلبه، وكان من فرط دقته يستخدم الميزان قبل وبعد استخدامه للعجلة الرياضية لحسـاب الفاقد من وزنه بدقـة، وكان يلتزم بنظامه الغذائى الصحى ويحـرص على تناول وجبات خفيفة وصحيـة ومياه معدنية، وبعـد الإفطار يطالـع الجرائد اليومية ليتعرف مـن خلالها عما يدور مـن أحداث فى مصر، وكانت مطالعته للجرائـد غاية فى الدقة، فكان يضع خطوطا بقلمه تحت أخبار معينة، خاصة مؤشرات البورصة التى كانت تكشـف له عن الحالـة الاقتصادية فى مصـر، وكانت له علاقة وطيدة بالمصحف وكان يحرص عند تلاوته على اسـتخدام الورقة والقلم ليسـتخرج آيات لها دلالات خاصة لديه ويسـجلها فـى أوراقه ليمكن الرجوع إليها والاستدلال بها فى كتاباته.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فاستطرد يقول:

واسـتفاد «الشـاذلى» من مدة حبسـه ليحقق رقما قياسـيا فى ختم المصحـف ٧٠ مرة خلال عام ونصف العام قضاها فى محبسـه، وحرص «الشـاذلى» على حفظ القرآن خاصة السـور الطويلة منـه، فكان يقرؤه

للعبادة والتدبر والتفكر والدراسة، فاستفاد من مدة حبسه بزيادة قربه من الله.

وبالرغم من كل هذه المزايا فإن الفريق «الشاذلى» لم يكن يشعر بالأمان، ولم يفارقه هاجس الإجهاز عليه ومحاولة قتله، لذا كانت تعليماته بعدم تغيير الحرس الخاص به إلا بإذنه، حتى لا يندس جديد بينهم بحجة حراسته لينال منه، وطلب منى تشديد الحراسة على البوابة الرئيسة، وكان يصعد أحيانا فوق سطح السجن ليعرف المنافذ التى يمكن أن توصل إليه من سيسعى لقتله إلى حجرته إذا صح ظنه.

وكان المشير طنطاوى قد أوصى للفريق «الشاذلى» بالاستعانة بالمستشار الطبى المعالج للمشير إذا ما احتاج الفريق «الشاذلى» لطبيب، ولكن الفريق «الشاذلى» كان يحب العدل فى كل شىء ويرفض التمييز، فعندما أصيب بآلام فى أسنانه قام طبيب الأسنان دون علم «الشاذلى» خلال أسبوع واحد بنقل معدات عيادته الخاصة إلى حجرة خاصة بالسجن لتصبح جاهزة خصيصا لعلاج «الشاذلى» فقط، وقام بتعقيمها، وساعدته إدارة السجن بإعداد حوائط الحجرة وتجهيز أرضيتها حتى أصبحت عيادة الأسنان الخاصة جاهزة لاستقبال «الشاذلى» وإذا به يغضب من هذا التمييز ويرفضه وطلب أن تتم معه الإجراءات المتبعة مع أى سجين والتى وضعها «الشاذلى» من قبل عندما كان رئيسا للأركان فأعاد الطبيب

معداته إلى عيادته بالعباسية، وكان الحرس يرافق الفريق «الشاذلى» في ذهابه وإيابه إلى طبيب الأسنان خارج السجن تطبيقا للإجراءات المتبعة مع أى سجين عادى.

ولازالنا مع حديث اللواء أشرف راشد:

فى ليلة من الليالى وفى ساعة متأخرة من الليل حوالى العاشرة والنصف مساء قام محامى الفريق «الشاذلى» جلال الديب مع لواء من رئاسة الجمهورية بزيارة «الشاذلى» بحجة تفقد أحواله والاطمئنان على راحته ! ولكن الفريق «الشاذلى» طلب منى حضور المقابلة فعرفت أن حقيقة هذه الزيارة فى هذا الوقت المتأخر من الليل هى محاولة إقناع «الشاذلى» أن يكتب للرئيس مبارك بخط يده التماسا للعفو عنه وكان الطلب مفاجأة «للشاذلى» فرفضها فى إصرار. وطالت محاولات الزوار إقناع «الشاذلى» حتى امتدت لساعات الفجر، ولكن «الشاذلى» ظل على عناده فى الحق يرفض ويرفض، فقد كان شعوره بالظلم عظيما لايداويه أى عفو (إلى هنا انتهى حديث اللواء أشرف راشد)

ربما لم ينس مبارك أنه كان يوما تحت رئاسة «الشاذلى» رئيس الأركان يتلقى منه الأوامر العسكرية ليقوم بتنفيذها، والآن دارت الأيام على «الشاذلى» وأصبح تحت رحمة مبارك، فأراد مبارك من «الشاذلى» أن يستجديه فى طلب العفو، علاوة على أن مبارك لم ينس للشاذلى خلافه فى الرأى معه حول موقف مصر من حرب الخليج فى ١٩٩١م .

وأمــام اعتزاز «الشــاذلى» بنفســه ويقينه من أنه علــى الحق رفض وبإصــرار أن يكتب مثل هذا الالتماس وهــو برىء، ليفوت على مبارك فرصة جرح كبريائه والانتقام منه، ورفض «الشــاذلى» رفضا شــديدا أن يُذل نفســه ويتنازل عــن كبريائه ويطلب العفو مــن ظالمه وهو برىء، فيكفــى «الشــاذلى» أن مبارك سمح بإلغاء صور «الشــاذلى» من بين صور أبطال حرب أكتوبر وسمح بتبديلها بصور مبارك، وكثير من المحاولات لطمس تاريخ «الشــاذلى» وانتصاره العســكرى العظيم في حرب أكتوبر والتى كشفت عن رغبة مبارك في إزاحة «الشاذلى» عن أضواء النصر .

ويعود اللواء أشــرف راشــد ليحدثنا هذه المرة عــن يوم الإفراج عن «الشاذلى» فيقول:

جاء قرارالعفو عن الفريق «الشــاذلى» في ٥ / ١٠ / ١٩٩٣م بمناسبة أعيــاد أكتوبر وبعد قضائه نصف مدة العقوبة (عام ونصف العام) كانت قد مضت على ســجنه، ويوم الإفراج ينتظره كل ســجين إلا «الشــاذلى» لم تفرحــه فرحة الإفــراج المتوقعة ! لأنه لم يكن عفــوا خاصا للفريق «الشــاذلى» بل كان عفوا عاما مع باقى المســاجين لحســن السلوك وقضاء نصــف المدة، فلم يداو ذلك العفو جــرح ظلمه ولم يعيد الحق إلى نصابه على النحو الذى أراده «الشاذلى». (انتهى بذلك حوار اللواء أشرف)

فهل كان يليق بقائد عسكرى في قامة الفريق «الشاذلى» بعد ما لاقاه من ظلــم وانتقام أن يأتيه العفو عاما مع باقى المســاجين؟ هل يســتوى الأبطال بالمجرمين والخارجين على القانون؟

وأخيرا خرج النسـر من محبسـه، خرج ليبدأ حياة جديدة يتنسم فيهـا الحرية فـي وطنه، ولم يثنه الإفراج عـن تراجعه عن موقفه من السـلطة حتى إنه أجرى فى يوم خروجه حوارا مع جريدة الشعب أكد فيه ثباته على موقفه وإصراره على الدفاع عن قضيته.

وأعتقـد أن ما كان يُقلق الرئيس مبارك وقتها من الفريق «الشـاذلى» هو إصراره الشـديد على إظهار الحقيقة، فتجاهل مبارك تكريم الفريق «الشـاذلى» فى الذكرى ٢٥ لنصر أكتوبر مع قادة القوات المسـلحة! كما منع عنه (نجمة الشرف) وما يتبعها من مزايا مادية له ولأسرته حتى بعد العفو.

وأحسب أن الفريق «الشاذلى» كان ثروة قومية لم يُحسن نظام مبارك استخدامها لصالح مصر بعد عودته للوطن، واختصر تاريخه العسكرى المشـرف فى خلافه مع الرئيس السـادات، فلم يخسـر «الشاذلى» شيئا بسـجنه بل زاده الظلم قوة على قوته وخسـرت مصـر رجلا من خيرة رجالهـا وعبقرية عسـكرية نادرة كان يمكن أن يضيـف الكثير لوطنه فكيف ودع الفريق «الشاذلى» متاعبه هذه المره ليبدأ حياته الجديدة؟



الشاذلى يضع خطة مدروسة لرحلة الحج

أثناء عمله سفيرا لمصر فى البرتغال سافر الفريق «الشاذلى» إلى ألمانيا لشراء سيارة مرسيدس وحملها معه إلى مصر عند عودته فى مارس ١٩٩٢م وصادرتها الجمارك حتى فوجئت أسرته ببيع هذه السيارة فى المزاد، عن هذه الواقعة تقول شهدان الشاذلى:

«قام والدى بشراء هذه السيارة عام ١٩٧٦م عندما كان سفيرا لمصر بالبرتغال وسافر بها إلى أسبانيا لعقد مؤتمر صحفى انتقد خلاله اتفاق كامب ديفيد، وكان والدى يتنقل بها بين العواصم التى عمل بها، وأخذها معه إلى الجزائر وظل محتفظا بها حتى عودته إلى مصر فى ١٩٩٢م، ووقتها صادرتها الجمارك المصرية وطالبت بجمرك أكثر من ثمن السيارة ولذا ظلت السيارة فى الجمرك حتى عام ١٩٩٥م، فتبرع بها والدى للقوات المسلحة فطلبت الجمارك من القوات المسلحة دفع جمارك السيارة ولما لم تدفع القوات المسلحة فبقى الحال على ما هو عليه، حتى عرفت من إحدى صديقاتى أن السيارة معروضة للبيع فى مزاد فذهبت للمزاد واشتريتها بـ ٦٠ ألف جنيه برغم أن ثمنها كان ٤٠ ألف جنيه، والحمد لله أن المزايد أمامى فى المزاد لم يكن يعرف أهمية هذه السيارة بالنسبة لى، ولم يعرف أن السيارة تخص الفريق سعد الشاذلى ولم يعرف أيضا أنى ابنته».

وبعد خروجه من السجن عاد الفريق «الشاذلى» كعادته يمارس نشاطاته المختلفة ويستمتع بحياته، بدأها فى بلدته «شبراتنا» فى الغربية حيث بدأ بإعادة بناء بيته هناك على الطراز الحديث، وأقام مسجدا ومصحة ومشروعات أخرى خدمية لأهل بلدته، وظل محتفظا بنشاطه الذهنى وذكائه المتقد لآخر لحظة من حياته، فكان يضع لكل مشروع خطة حتى العزومات الكبيرة التى كان يقيمها للعائلة فى المناسبات كان يضع لإتمامها خطة بحسابات دقيقة يحدد فيها أصناف الأطعمة والمشروبات بما يلزم لعدد المدعوين بدقة متناهية، وكان يضع خطة لتوزيع ذبيحة عيد الأضحى بالعدل بين فقراء بلدته، وكان يهتم فى هذه المرحلة من حياته بلقاءات الأهل والأقرباء لتوطيد صلات الأرحام، وعلى الجانب الآخر كان يتلقى دعوات حضور مؤتمرات ويكتب مقالاته في صحيفة الشعب معلقا فيها على ما يجد من أحداث على الساحة العربية، وكانت بعض مقالاته تحمل تلك العناوين:

«إلى الذين يرقصون على أنغام العدو»، وعنوان آخر «لا أخشى على مصر من السودان»، وعنوان ثالث «بنود كامب ديفيد تمكن إسرائيل من احتلال سيناء فى ٢٤ ساعة» وحوارات أخرى حول ذكرياته العسكرية فى الحروب التى شارك فيها.وكان الفريق «الشاذلى» كاتبا بارعا يملك أدوات الكتابة وبراعة التعبير، وكانت له مؤلفات بعد مذكرات حرب أكتوبر (الخيار العسكرى العربى، الحرب الصليبية الثامنة)،

وكلها مؤلفات عسكرية كانت نتاج خبرته العسكرية، أما كتابه أربع سنوات فى السلك الدبلوماسى فسجل فيها ذكرياته وخبراته الإنسانية وعلاقاته الدبلوماسية.

وظل على حاله ونشاطاته حتى وصل فى ١٩٩٩م إلى عمر ٧٧ عاما وأراد وقتها أن يجدد عهده مع الله بأداء فريضة الحج للمرة الثانية من حياته، وصحبه فى رحلته إلى السعودية وقتها حفيده الشاب معتز عبد الرحمن، الذى قال عن ترتيبات جده «الشاذلى» للحج:

كعادة جدى فى الترتيب لكل شىء بالدراسة والتخطيط وترتيب التفاصيل الدقيقة ووضع خطط دقيقة لكل شىء، قام بالترتيب لرحلته إلى الحج قبلها بشهر، فبدأ يزيد من مدة تدريبه اليومى على المشى لإكساب عضلاته المرونة اللازمة للجهد المطلوب بالمشى لمسافات طويلة فى أداء مناسك الحج، وقام بدراسة خريطة لمواقع الحج فى منى وعرفات ومزدلفة ومكة والمدينة المنورة لتحديد المسافة التى تفصل بين هذه المدن بعضها البعض لتحديد الزمن اللازم لقطعها، واضعا فى حسبانه كل الظروف الطارئة والمتوقعة مثل زحام الطريق أو تعطل الأتوبيس، لكل شىء عنده حسابات غاية فى الدقة جعلته يحدد كمية الطعام اللازمة له أثناء التنقل بين هذه الأماكن المقدسة حسب طول المسافة، وكانت وجبته الخفيفة اليومية لا تتغير مهما تغيرت ظروف الإقامة حفاظا على وزنه حتى لا تُعيقه زيادة الوزن عن أداء المناسك.

حتى عدد خطواته من محل إقامته إلى الحرم حتى وصوله إلى الكعبة كان يحسبها بدقة واضعا فى اعتباره زمن الخطوة البطيئة بسبب الزحام حتى فى مِنىً مكان رمى الجمرات عندما حسب المسافة ووجدها تفوق قدرته وَكَّل حفيده «معتز» فى رمى الحصى له تجنبا لمعاناة قد تفوق طاقته. وكان يجرى دراسة مقارنة بين الحج الأول فى شبابه والحج هذه المرة ليجد أن الفرق بين الرحلتين هائل خاصة أنه طاف فى رحلته الأولى حول الكعبة على حصى ساخن كان يلهب أقدامه.

ويضيف الحفيد المهندس معتز عبد الرحمن:

كان المثل الأعلى للفريق «الشاذلى» بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - هو أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) فى عدله وحسمه وصرامته ودفاعه المستميت فى الحق، وفى حرصه على إقامة قواعد راسخة لدولة المسلمين، واختيار الأصلح للمسلمين حتى ولو كان ضد مصالحه الشخصية، و من المواقف التى لفتت انتباه «الشاذلى» فى شخصية عمر ابن الخطاب هى توقيره للقرآن وحرصه على حفظه، فلما وجد صعوبة فى حفظ القرآن قرر ابن الخطاب أن يحفظ سورة البقرة أطول سور القرآن واحتفل بهذا الإنجاز وقدم فى احتفاله الذبائح. كل ذلك كان موضع إعجاب الفريق «الشاذلى» حتى إنه كان يتسابق مع حفيده فى حفظ بعض سور القرآن فى الحج، وكان مصحفه مميز بامتلائه بعلامات وتسطيرات بقلمه الرصاص يستدل بها فى الحفظ والتلاوة، واستغل فرصة الحج لمراجعة القرآن مع حفيده.

وبالرغم من أن جـدى كان بملابس الإحرام فإن الكثير من الحجاج المصريـين والعرب والدعاة تعرفـوا إليه وتجمعوا حوله يسـألونه عن أسـرار خلافه مع الأنظمة السياسـية فى مصر، ويطلبـون التقاط صور تذكارية معه، فكان يرفض المطلبين حتى لا يضيع جهده وطاقته بعيدا عن التركيز فى المناسك، مهمته الدينية التى جاء من أجلها.

ولازال الحديث للحفيد معتز عبد الرحمن:

وعـاش جدى الفريق «الشـاذلى» سـنواته الأخيرة بنفس حماسـه المعتـاد، وكان يـرى أن الدنيا برغم همومها ومتاعبهـا إلا إنها مليئة بالمهام الأخرى المتعة، فكان كلما انتهى من مهمة صنع لنفسـه مهمة جديـدة تضيف إنجازا جديدا إلى حياته، فـكان يهتم بأرضه الزراعية وأحـوال الفلاحـين القائمين على زراعتها، وكان يشـترك فى مجلات أجنبية عسـكرية ويهتم بمتابعة ما ينشر فيها من معلومات عسكرية، إلى جانب نهمه فى قراءة الجرائد اليومية المصرية والأجنبية. (انتهى حديث الحفيد معتز عبد الرحمن)

ولم يدر الفريق «الشاذلى» بعدما امتد به العمر حتى ٨٩ عاما ونالت الشـيخوخة من صحته وبدأ المـوت يقترب منه لينذر بقرب رحيله عن الدنيـا، لم يدرِ أن مفارقـات اللقطة الأخيرة من حياته سـتكون أروع خاتمة لرحلته فى الحياة، فماذا رتب الله تعالى للفريق «سـعد الشاذلى» فى وداعه يوم رحيله فى اليوم التاريخى لمصر فى ١١ / ٢ / ٢٠١١م؟

شعب مصر يودع الشاذلى فى جنازة مليونية

كانت المرة الوحيدة التى أعلن فيها البطل الفريق «سـعد الشـاذلى» استسـلامه هى معركته مع المرض والشـيخوخة، لم تهزمه الحـروب والمعارك ولم يهزمه الظلم الذى وقـع عليه ولم تتعبه الغربة وكثرة الترحال ولكن هزمته الشيخوخة بعدما نالت من صحته وقوته، وعندمـا اقتربت لحظـات الرحيل بدأت الأقدار ترتب المشـهد الأخير من حياة الفريق «الشـاذلى»، قدر الله أن يأتى رحيل «الشاذلى» إلى مثواه الأخـير فى الدنيـا يوم تغيير التاريخ فى مصر، يـوم انتصار ثورة ٢٥ ينايـر فيما أسماه الثوار بجمعة الرحيل، التـى تم فيها رحيل مبارك وتخليه عن رئاسة مصر.

فى هذا اليوم ترجل البطل «سـعد الشـاذلى» عن جواد إصراره الذى رمح به لسنوات طويلة داخل مصر وخارجها من الهزيمة والانكسار إلى التحدى والانتصار، ليعلن فى محطته الأخيرة استسـلامه لمشيئة الله، لم يحـدد «الشـاذلى» موعد رحيله عن الدنيا ولم يحـدد الرئيس مبارك موعد رحيله عن كرسى الرئاسة وتخليه عن الحكم، لكن الله تعالى حدد لـكل منهمـا موعده ليرحل الاثنان كل إلى مصيره فـى يوم واحد وكأنه كان يوم القصاص «للشاذلى»؛ ففى الوقت الذى اصطف فيه آلاف المصلين

والمودعين والضباط أبطال أكتوبر خلف جثمان الفريق «الشاذلى» لتقديم تحية العرفان لقائد ملحمة النصر فى لحظات وداعه الأخير، اصطف أيضا ملايين الثوار فى الميدان الثائر ميدان التحرير ليؤدوا صلاة الغائب لروح الفريق «الشاذلى» ويودعوه بكلمات تهز المشاعر (الله يرحمك يا شاذلى... أخذنا بثأرك يا بطل) وكأنهم يعتذرون للبطل عن ظلم وقع عليه يوما فى عصر الرئيس مبارك ، ويعاهدونه على مواصلة الكفاح من بعده.

ولما ارتفع الجثمان على أعناق رجال الشرطة العسكرية وتبعه جمهور المصلين من رجال الصاعقة والمظلات وأفرع القوات المسلحة، كان طابور المعزين يصعب فيه التفريق بين أهل «الشاذلى» وأقاربه وأسرته وبين ضباطه من رجال القوات المسلحة فى جنازة عسكرية وشعبية مهيبة والجثمان يتقدمهم على عربة عسكرية ملفوفا بعلم مصر، وفى مقدمة المشيعين عدد كبير من كبار رجال القوات المسلحة، وباقات الورد وحملة الأوسمة والنياشين حتى وصل إلى مستقره الأخير فى مقبرته، وبعد ذلك بساعات قليلة فى نفس اليوم تم الإعلان عن تخلى الرئيس حسنى مبارك عن رئاسة الجمهورية وانتقل بعدها إلى مستشفى شرم الشيخ قيد الإقامة الجبرية هناك... يا سبحان الله وكما تدين تُدان، تماما كما أجبر الفريق «الشاذلى» من قبل أن يدخله ظلما مستشفى السجن الحربى ليظل فيها قيد الإقامة الجبرية.... اللهم

لاحـــول ولا قــوة إلا بالله، لحظــات قدرية لايقوى علـــى ترتيبها بهذا النسق الخارق إلا الله تعالى ولا أعتقد أن الفريق «الشاذلى» نفسه توقع أن يأتى رحيله فى يوم تاريخى فى حياة المصريين وينال فيه هذا التكريم الشـــعبى ويودعه المصريون فى جنـــازة مليونية مهيبة على النحو الذى تمت عليه.

وتروى شهدان الشاذلى عن برقية عزاء خاصة توقفت عندها وقالت:

«تلقينا من رئاســـة الجمهورية صباح جنازة والـــدى وقبل الإعلان عن رحيل مبارك عن الحكم بســـاعات قليلة تلغراف تعزية لنا (أســـرة الشاذلى) يعتذر فيه الرئيس مبارك عن تخلفه عن حضور جنازة الفريق الراحل».

فهل كان الرئيس مبارك يعتذر فى هذه البرقية الحزينة عن حضور الجنازة وحسب؟ أم كان يعتذر للشاذلى وأسرته عما ناله ونالهم من ظلم علـــى يد مبارك وفى عصره؟، عندما كان مبارك على قمة الســـلطة وكان قادرا على تبرئة «الشـــاذلى» ولكنه تعســـف وقتها فى استغلال سلطته وجدد الحكم الصادر ضد «الشاذلى» من قبل ، لم يعف مبارك عندما كان قادرا على العفو ولم يأمر وقتها بمحاكمة عادلة تُبرئ «الشـــاذلى» ولكنه أصر على سجن «الشاذلى» ظلما وبهتانا ودون محاكمة. فهل تكفى برقية اعتذار لتضميد جروح أمَة سُـــجن بطلها ظلما فى وطنه ساحة انتصاره؟ وهل تشفع للرئيس مبارك برقية عزائه الآن فى يوم إزاحته من كرسى

الرئاسة بعد أن هلك عنه سلطانه وسلطته؟ وأعتقد أن ظلم مبارك للفريق «الشاذلى» كان سقطة كبيرة ووصمة عار فى تاريخ مصر العسكرى وفى حق الشعب المصرى من الصعب أن يغفرها أى اعتذار.

وظل الفريق «الشاذلى» حالة خاصة من البشر حتى يوم رحيله عن الدنيا فى يوم ١١ فبراير ٢٠١١م. وعبرت مصر عن عرفانها وتكريمها للفريق «الشاذلى» بعد رحيله ومنحته وسام «نجمة الشرف العسكرى» بعد رحيله بأيام فى فبراير ٢٠١١م تقديرا لأدواره البطولية فى خدمة وطنه مصر، كما وافق المسئولون فى نفس العام ٢٠١١م على نشر كتاب «الشاذلى» مذكرات حرب أكتوبر فى مصر والذى كان ممنوعا تداوله فى مصرمن قبل، وفى ٤ أكتوبر ٢٠١٢م أصدر الرئيس محمد مرسى بمناسبة احتفالات أكتوبر قرارا بمنح الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان الأسبق قلادة النيل تقديرا لدوره التاريخى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م وتسلمته أسرته.

وكانت أسرة «الشاذلى» قد طالبت بعد رحيله بالإفراج عن باقى مؤلفاته التى تمت مصادرتها مع كتبه ومقتنياته الثقافية وأوراقه الخاصة وصوره وذكرياته، وإعادة صورته إلى مكانها الصحيح فى صور حرب أكتوبر بين أبطال الحرب والقادة تصحيحا للتاريخ وكان لهم ما أرادوا فى عهد الرئيس محمد مرسى، وشاهد المصريون على شاشات التلفاز فى الاحتفال بذكرى حرب أكتوبر صور الفريق «الشاذلى» فى

أفلام تسـجيلية عن حرب أكتوبر مع السـادات والقادة العسكريين فى غرفة العمليات ومع جنوده على خط النار حقيقة مسجلة للتاريخ.

وأعلنت وسـائل الإعلام فى ١٥ / ١٠ / ٢٠١٢م أن السـيدة شـهدان الشـاذلى قد أهدت مذكرات والدها الفريق «سـعد الشـاذلى» إلى مكتبة الإسـكندرية. وأطلقت القوات المسـلحة اسم الفريق سـعد الشاذلى على المحور الدائرى بين مدينة العبور ومدينة الحرفيين.

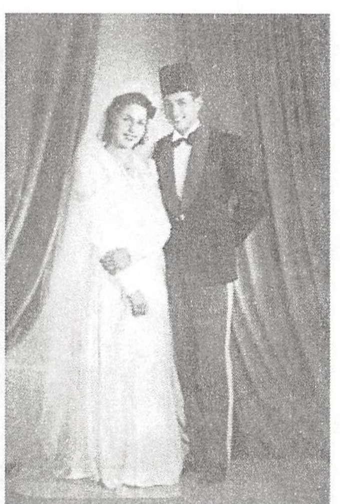
ورحل الفريق «الشـاذلى» عـن الدنيا وظل اسمه خالـدا فى التاريخ العسـكرى المصرى والعربى الذى سـجل مع بطولاتـه ظلما عظيما وقع عليـه، فالحق أبـدا لا يموت والحقيقة مهما غابـت لابد لها أن تظهر جلية للجميع بعدما تنقشـع من حولها الغيوم. وها هى ذى الأيام تدور لتظهر مـع دورتها الحق، وهـا نحن نكتب عن أمجاد الفريق «سـعد الشـاذلى» وبطولاته بعدما تحققت توقعاته المستقبلية التى كتبها بخط يده فى مذكراته قبل أن يموت بعشرات السنين فقال فيها :

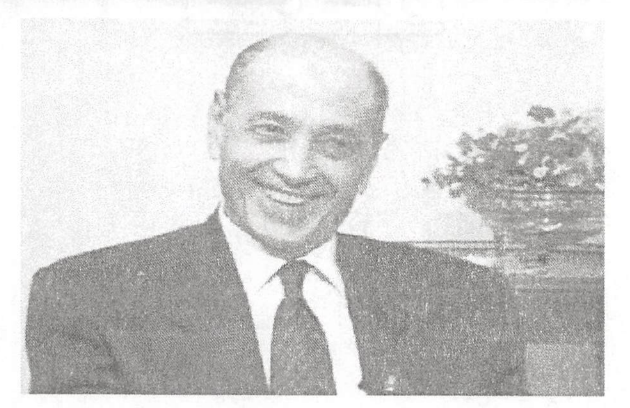
(أنا واثق أن مصر سـتكرمنى فى يوم مـن الأيام عندما يعرف شعب مصر حقائق وأسرار حرب أكتوبر)

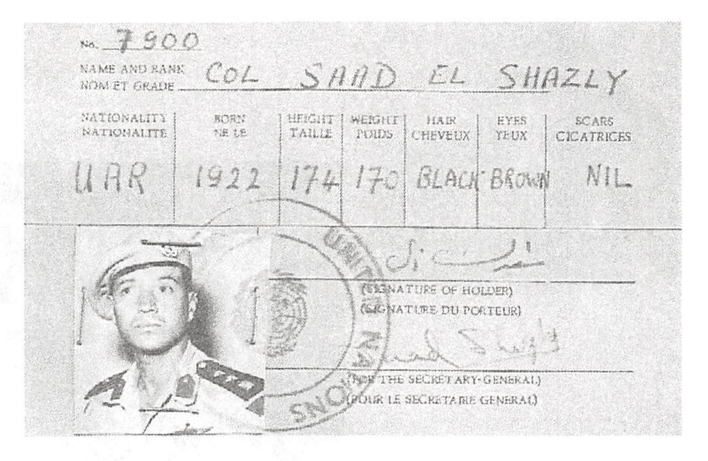
رحم الله الفريق البطل «سـعد الشاذلى» وجزاه عن وطنيته وبطولاته وخدمته لوطنه وأمته خير الجزاء.

ملحق الصور









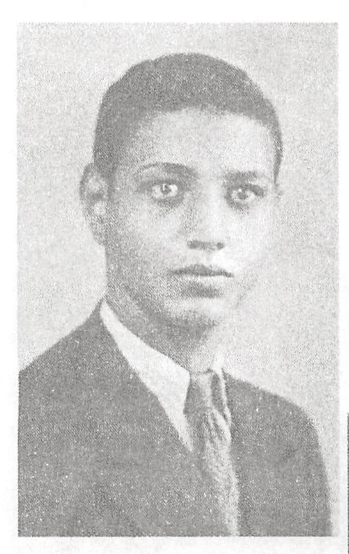
No. 7900

NAME AND RANK
NOM ET GRADE COL SAAD EL SHAZLY

NATIONALITY NATIONALITE	BORN NE LE	HEIGHT TAILLE	WEIGHT POIDS	HAIR CHEVEUX	EYES YEUX	SCARS CICATRICES
UAR	1922	174	170	BLACK	BROWN	NIL

(SIGNATURE OF HOLDER)
(SIGNATURE DU PORTEUR)

(FOR THE SECRETARY-GENERAL)
(POUR LE SECRETAIRE GENERAL)

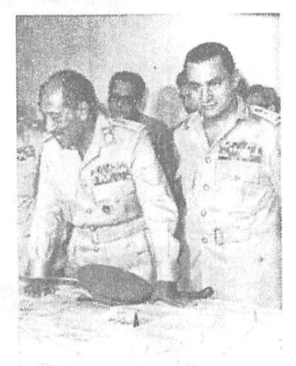




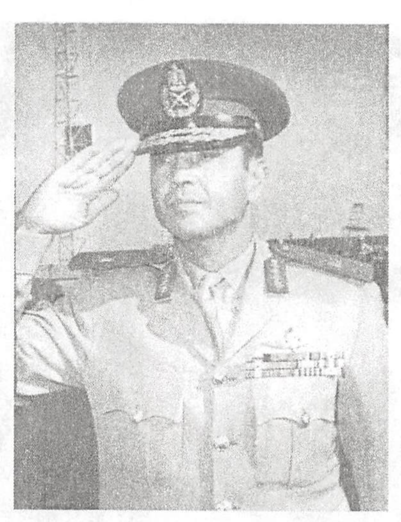


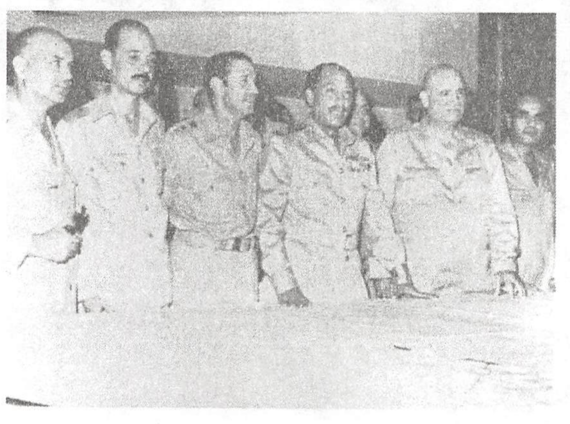






















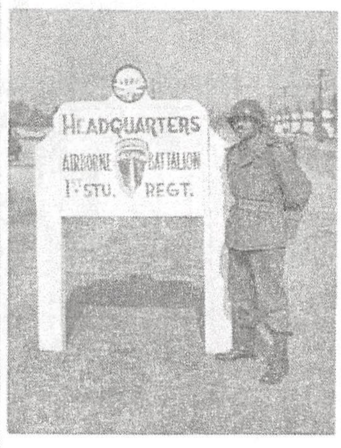








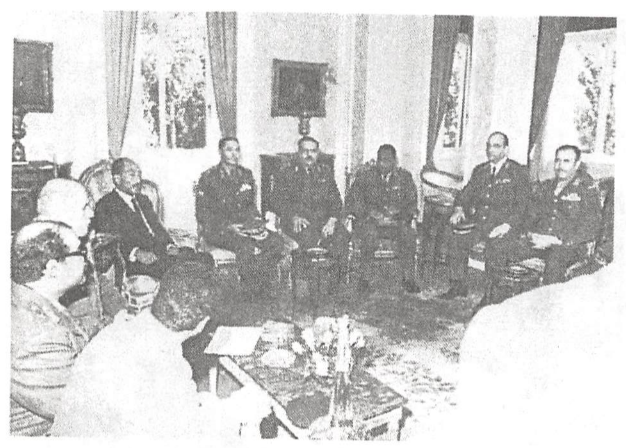



HEADQUARTERS
AIRBORNE BATTALION
1st STU. REGT.



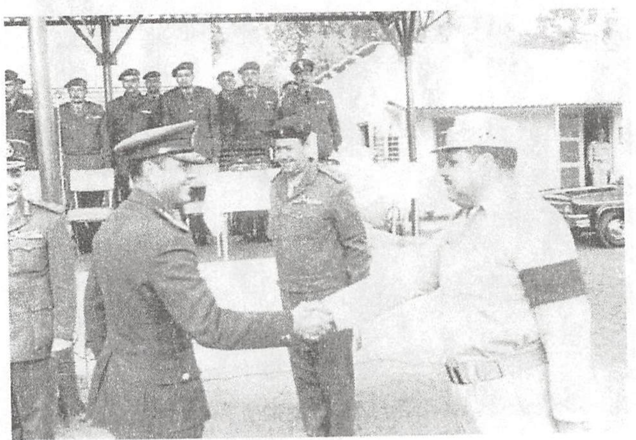




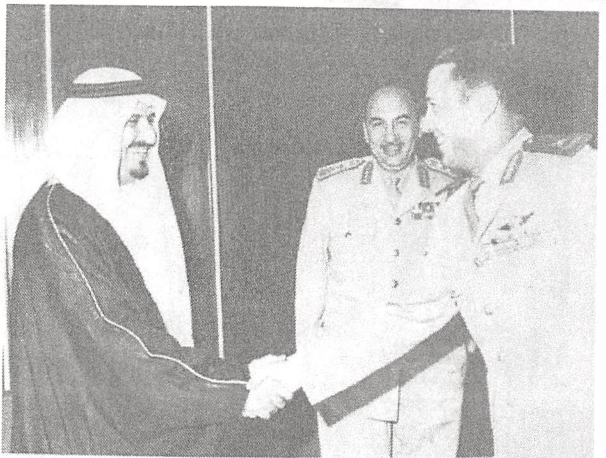










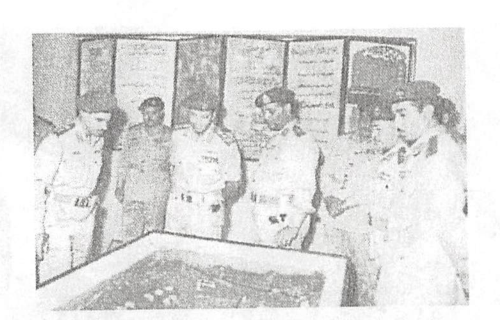


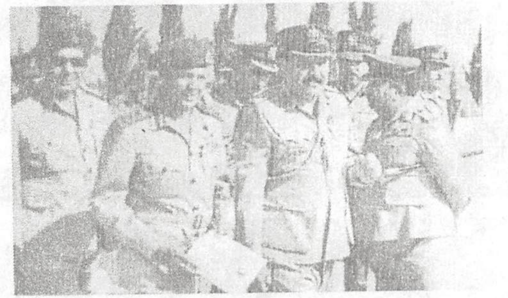
























المراجع

- روايات أسرة الفريق الشاذلى كريماته وأحفاده.
- روايات ضباط القوات المسلحة ممن عاصروا الفريق الشاذلى:

الواء د. إبراهيم شكيب.

اللواء أشرف راشد.

اللواء جمال مظلوم.

اللواء محمد التميمى.

الفريق يوسف عفيفي.

العقيد يحيى الشاذلى.

- مقالات وأخبار صحفية عن الفريق الشاذلى.
- الموقع الخاص بالفريق الشاذلى على شبكة الإنترنت.
- (قصتى مع النظام) للكاتبة سوسن أبوحسين.
- (الفريق الشاذلى وأسرار الصدام مع السادات)- للكاتب محمود فوزى.
- مذكرات الفريق سعد الشاذلى عن حرب أكتوبر.
- صور الكتاب مهداة من أسرة الفريق سعد الشاذلى.

تم بحمد الله

الكاتبة فى سطور

- آمال محمود البنا كاتبة صحفية بجريدة الأخبار.
- بكالوريوس تجارة جامعة عين شمس.
- عضو نقابة الصحفيين المصريين.
- عضو اتحاد الصحفيين العرب.
- عضو اتحاد الكتاب المصريين.
- عملت في أبواب الأخبار المتنوعة منها باب حكايات والصفحة الطبية وصفحة المرأة وجميع الأبواب الإنسانية. وكذا الإصدارات المختلفة (آخر ساعة وأخبار النجوم).
- برعت في القصة الإنسانية وتخصصت فى كتابتها فى بابها الأسبوعى بالأخبار (لست وحدك) .
- مارست العمل التليفزيونى بنشاط متميز فى إعداد برامج ثقافية وسياحية للفضائيات المصرية.
- قدمت عدة أعمال أدبية منها :

«صوت تحبه الملائكة» وتم ترشيحه كعمل درامى فى التليفزيون المصرى.

«رسالة من الجنة» قصة واقعية لها مرجعية دينية أشاد بها فى تقديمها د. على جمعة مفتى الديار المصرية.

رواية «زهرة الخريف» والمجموعة القصصية «قصة وعبرة».

للتواصل مع الكاتبة

«٠١٠٠١٥٦٢٨٦٠»

الفهرس

اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهًا.

- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولارًا أمريكيًا.

- الدول الأجنبية ٩٠ دولارًا أمريكيًا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدمًا نقدًا أو بشيكات.

بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة

يصدر قريبا

■ التفكير الجماعى

د. إبراهيم المغازى

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ١٤٨٣٠
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٨-٩٧٧-٠٢-٧٨٤١-٣

١ / ٢٠١٣ / ٩٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)